# وردة نقدية

❖ اسم العمل: وردة نقدية(روايـــــة)

❖ للكاتبة: ريم الكيالي

❖مراجعة لغوية: أمل جابر

❖ إخراج داخلي: سليل الفراعنة

❖ رقم الإيداع: ٢٠٢١/٧/٣٧٣٨

❖ ردمك: 978 - 9923 - 00 -001 - 4

جميع الحقوق محفوظة للناشر واي انتهاك سيعرض صاحبه للمساءلة القانونية

(هذه النسخة مخصصة للقراءة فقط، ولا يجوز إعادة طبعها أو نسخها أو نشرها إلا بعد الحصول على إذن كتابي من الناشر الدندشي للنشر والتوزيع)

(روايـــــة)

# وردة نقدية

للكاتبة

## ريم الكيالي

الطبعة الأولى

٢٠٢١ م

الدناشي للنشر والتوزيع

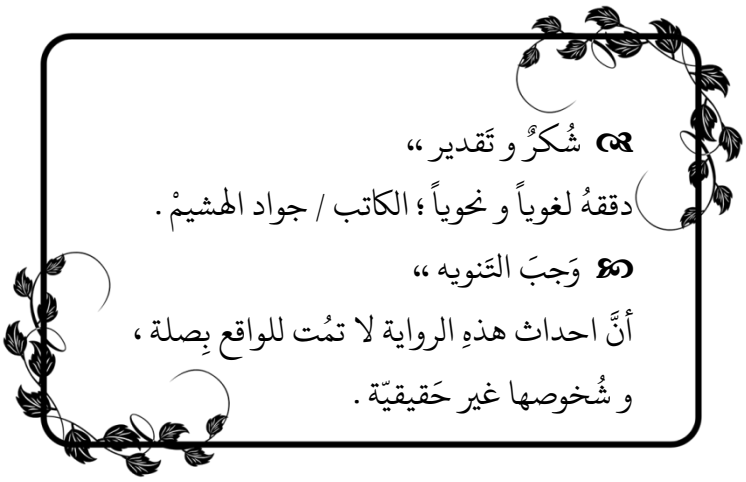
شُكرٌ و تَقدير ،،
دققهُ لغوياً و نحوياً ؛ الكاتب / جواد الهشيمْ .
وَجبَ التَنويه ،،
أنَّ احداث هذهِ الرواية لا تمُت للواقع بِصلة ،
و شُخوصها غير حَقيقيّة .

الإهداء،،

لِزَهرَةِ الكَرزِ البَيضَاء الغافيَّةِ على شُرفَةِ البيتِ القَديمْ ،

للسُنونو المُشاغَبِ الذي يَسرِقُهَا ثَمرَةً ما إنْ تَنضُجْ !

لِبدايَاتِ الرَبيعِ المُتأخِرَةِ، و الخَريفِ السَريعْ .

بِدءْ ،،

اعتادَ أن يمضِي بِبَصمتهِ و توقيعهِ الفَريدِ على بَتلاتِ الوَردِ ،

و كَانتْ قَد امتَهنَت تَصفيفَ الشيكاتِ فِي باقَتِها بعدَ كُلِّ مَوسِمْ !

نظرةٌ واحِدَةٌ كانت كَفيلةً بأن يَعلمَ خبايا قَلبِها ، لَمْ يَكن لِزاماً عليهِ أن يَنفُضَ الغُبارَ عن حُجُراتِهِ ، اكتفَى بوضعِ يدهِ على قَلبهِ بعدَ التَلويحِ بإصبعهِ بإشارَةٍ مُبهمَةٍ.. لَمْ تَفهَمها ، مالَت بِرأسِهَا كَعلامَةِ استفهامٍ رَقيقَةٍ ، رَسمَ ابتسامةً واثِقَةً ، ثمَ قالَ لهَا .. " لديَّ رَصيدُ سَعادَةٍ لا محدودْ " .. ردَّت بعلامَةِ استفهامٍ ، حيث مالت برأسها للناحيَّةِ الأُخرى ، و سَرَحَتْ .. تُحصِيْ مِقدار السعادَةِ فِي حِسابَها ، وهِيَ التي خَرجَتْ بالكَادِ من مَديونيَتها السابِقَةِ ، بِعَجزٍ ناحيَةِ القَلبْ .

نَظرَةٌ أخرَى ، أطوَلُ من تِلكَ التي ذُكِرَت فِي السَطرِ الأوَل ، أرفَقَها بتَمتَمَةٍ غيرِ مَسموعَةٍ ، لتَتَأهَبَ بِحَواسِهَا الخَمْس .. رَفعَتْ رأسَهَا دُونَ أن تَميلَ ، بادَلتهُ النَظر ، و أخيراً .. ابتَسَمتْ ! ، فقال : " ابتسامَتكِ لا مَحْدُودة ! " ، تنبهَّت أنَّ سِنَّها الذي لَمْ يعُد لبنِيَّاً .. بَانَ لهُ ، فَوَضَعت يَدهَا عَلى فَمِهَا و خَبَّأَتْ ابتِسَامَتَهَا .. اللامحدودة !

أخذَ يتَرَدَدُ لِمَحلِ الوردِ الذي تُديرَهُ ، يُلَّوِحُ لها قَبلَ أن يدخُلَ وكأنهُ يَسْتأذِنُها الابتسَامة ، علَّهُ يَسرِقهَا منها قَبل أن تضَعَ يَديهَا على فَمها و تُخبِّئَ السِّنَّ المكسُورْ ! ، كانَت تراهُ بُرجَاً كَبيراً ، ناهيكَ أنهُ يعمَلُ فِي البُرجِ أصلاً .. هِندامَهُ كانَ يُشعِرُها بأن السَماءَ قَريبةٌ خاصَةً بوجودِ نَجمَةٍ على كَتفهِ ! ، سألهَا ذاتَ زِيارَةٍ و هو يُقَّلِّبُ بينَ الأزهَارِ كمَن يَبحَثُ عن شيءٍ ما " ما عُملَتُكِ ؟" ، اعتَقَدت أنها فَهِمَت مَقْصِدَهُ ،

وأنهُ يَبحثُ عن زَهرَةٍ تَليقُ بِها ، فأحنَت رأسَها و بَدا خَجَلٌ طَفيفٌ على وجَنَتيهَا ، و لم تُجِبهُ و كأنها كانَت تَنتظِرُ منهُ الإجابَةَ مُنمقَّةً ، مُرفقَةً بِزَهرةٍ .. لكنهُ .. لم يُجِبْ ؟

ذاتَ زِيارَةٍ لاحِقَة ، بَدا لَهَا على عَجَلٍ .. لَمْ تسألهُ البَقاءَ ، و بَدت على جَبينِها السُطورُ فارِغَةً من الكَلامِ لكنهُ قَرَأَ الحالَةَ .. اقتَنصَ انزعاجَهَا مِنهُ و أخفَى ارتباكَهُ بانتقاءِ زَهرَةٍ من أزهارِهَا ، اقتَربَ منها لثانيَةٍ بَدت لَهَا عَشرُ خَفقاتٍ و شَهيقٍ ، لم يقُل لهَا شيئَاً .. بدا و كأنهُ نفخَ عنها غُبارَ الطَلعِ ، ليتبينَ لهَا بعدمَا غادَرَ انهُ تركَ لهَا زَهرةً خَلْفَ أُذنها .. !

فِي مَساءٍ شَتويٍّ بامتيازٍ ، حَرَّضها البَردُ عَلى النُعاسِ باكِراً .. لكنهَا لم تُسَلِّمْ للغَيمِ أحلامَها ، بَدتْ سارِحَةً فِي سَقفِ أمانِهَا ، تَسْأَلُ ظِلَّ يَدهَا إجابَةً .. عن انعكاسِ ما فِي روحِهَا من اضطرابْ .. كانَ لحروفِ اسمهِ النَصيبُ الأكبرُ من أسئِلتهَا و إن صاغَتهَا بِضَميرٍ مُستَتِرْ ..

بِخطوَةٍ لَيست ثابِتَةً ، إنمَّا مُتعَرِجَةٌ نوعاً ما .. كان يُبادِرُ بالتحيَّة التي يَنفَرِدُ بِها أشبَهَ بالعَسكريَّةِ حيناً ، و أخرى باعتذاراتٍ مُتأخِرَةٍ عن مَواعيدِ ابتسامَتهِ ، مَضت هِي على ذاتِ التعرُّجِ تَخْطو .. و حينَ تَتْعَبُ من انتظارِهِ ، تُعِدُّ فِنْجَانين من قَهوَّةٍ ، و من فَرطِ انشغالِ بالِهَا تنسَى السُكَر ، و تَشرَبُهُ بارِداً ..

حُجَّتهُ بَدَأَتْ تكبُرُ مع الأيامِ ، بدا و كأنَّهُ يَبني بُرجاً إلى السَماءْ ، لا أحدَ يَعْلَمُ متَى قَد يَنتهِي ، و ليسَ هُناكَ من قَد يتنبأُ بموعِدِ بلوغهِ الوَهْمَ ذاك ، غايَتُهُ بَدتْ ضَبابيَّةٌ فِي عينيهَا ، فكيفَ لهُ أن يَبلُغَ الجنَّة..؟، خَفقَةٌ ثَقيلَةٌ أثارَت الهَلعَ فِي صَدرِهَا .. كيفَ لهُ اجتياز الدُنيا بغيرِ مَوتٍ أبيضْ ؟ ماذا إن لَمْ يعُد من جنَّتهِ؟

زادَ فِي غيابَهِ غيرِ المسؤولِ أياماً ماطِرَةً ، قَضَتها فِي ذُهُولٍ لِعَدَمِ تَعريفِهَا لمعنَاهُ بالشَكلِ الذِي يُوَفِّي أسبابَه ، كانت ترفَعُ يدهَا للسَماءِ علَّها تقطِفُ بعد انتهاءِ انهمارِ المَطرِ .. نَجْمَةً ، تدُّلها عَن مدارِ كَوكبتهِ .. تُؤدِي بِها لجنَّتهِ .. ، حتَّى سَقطَ مُبتلاً أمامَ ناظِريهَا ! لِتُدَاوِمَ الذُهولَ نفسَهُ لكن على الجوابِ منهُ لا السُؤالِ ، فقدَ أجابَهَا " كيفَ حالُ جِنِيَّتِي ؟" !

باعترافِهِ لهَا ، و اتضاحِهِ بصُورَةٍ كَاملةِ الأبعَادِ .. اطمأنتْ ، ورَسمت على مُحياهَا ابتسامَةَ رِضَا .. أخبرتهُ كَمْ بالغَت بتعريفِ الجنَّةِ، و أنهَّا لم يخطُر عليهَا أنها غاليَّةٌ جِداً .. و عاليّةٌ ! ، بدا الانسجَامُ بينَهُما يَبني عَتَبَتَهُ الصَغيرَةَ ، و آمالُهُ بالوصُولِ تَعدَّت أمنياتَهَا ، و كأنَّهُ تَخَطاهَا لِيَبْدَأ أُسَسَ البيتْ .

مُقوماتُ قُبولِهَا بَدتْ خَجولَةً ، كأنَّها طالتْ باحتمالاتهَا مُعادلاتٍ لا يَفقَهُ بِها حَلٌ ، لذا كان يُسايِرُ خَطوَتها الصَغيرةَ و يَأخذُ

بيَدِها للكَبيرةِ كُلمَّا سَمحت لهُ الفُرصَةُ ! ، كأنهُ يُريدُ أن يُخبِرَها أنهُ رَصيفُهَا الوَحيدْ .. و جِسرُها الأمتَنُ ! ، لم يَمنعهُ الخَلَلُ الذي يُخبِّئُهُ تحتَ سُطورِ هذهِ الصَفحاتِ أن يتباهَى بقُدرتهِ الخارِقَةِ على فَهمِ و معرِفَةِ ما قَد يَتَراءى فِي رَأسِها ، جَعلها هذا الكَلامُ منهُ مَسحورَةً .. و هِيَ التي لطالما تمَّنتْ مَن يَفهَمُها من مُجَرَّدِ إيماءَةٍ .. أن يَقرأَ رُمُوزَ الصَمتِ منها .. و أن يَرُدَّ بابتسامَةٍ .

أمامَ مرآتِهَا ، جَلَستْ ؛ فَرَدتْ شَعرَها و راحَت تمشِّطُهُ بأصَابِعِ يَدهَا ، كانت ساهِمَّةً فِي لونِ عَينيها .. كأنهَّا تَراهُما لأوَّلِ مَرَّةٍ، و بدا أن صَدى صَوتِهِ يتخلَّلُ من ثُقبِ البابِ .. ليهمِسَ لها ! ، كانت تُردِّدُ كلمَاتهِ كَتميمَّةٍ ، تخافُ أن يَشي بِها قَلبُهَا للآخرينْ .. ، وَضَعت يدَها على خَّدِها ، و تأملَّت البُنِيَّ الداكِنَ المُقيمَ خريفَهُ فِي عينَيها كَطَقسِ حِدادٍ طَويلٍ .. كأنها تُريد التَعْتِيمَ على هذا المَشهَدِ الآنِ ، لتَصحُوَ من يَقَظِتها على فُضولِ الكَشفِ عن مَستورِ عَينيه!

التَقيّا ذاتَ نهارٍ خَارجَ حُدودِ الوَردِ ، لَمْ يكُن هُناكَ فاصِلٌ بينَ تحيَّتهِ و ابتسَامتهَا .. جَلسَا على مِقعَدٍ خَشَبِيٍّ مُوارِبٍّ لجِهَةِ البَردِ مُنفَرِدٍ بإطلالتهِ ، كانَت الشَمسُ ضَئيلَةً ، و لكنَّها أتَّمتْ نُضجَ الوَردِ على خَدَّيهَا ..

قال لها " سأحتَّلُكِ .. " .

لَمْ تأمَنْ ردَّ فِعلهَا من الخَوفِ ، فانطوَت على نَفسَها أشبَهَ بحوريَّةٍ اختبَّأت فِي قَلبِ بَتلاتِ زَهرِ الفَاوانيا .. ، كان يعلَمُ أنَّ حُصُونُها مَنيعَةً و أنه أقربُ للشَوكِ بقولهِ ما قَالْ .. فصَحَّحَ كَلِمَتَهُ و كَرَّرهَا على مَسمعِهَا علَّها تتفتَّحُ و تخرُجُ من شَرنَقتِهَا ..

قال " سأحتَّلُ حُزنَكِ .. " .

لَمْ تُعطهِ الأمَان ، أبقَتْ على تأهُبِهَا بالهروبِ خَياراً أقربَ منهِ ، وانسحبت حيثُ مَشهَدٍ أنيقٍ يَبعَثُ لتَنَفُّسَ الصُّعداءْ ، .. و قالَت له " أبقِ على هذا المِقْدَارِ منهُ بِي ، كُنْ على قَدرِ الوَعدِ و امنحنِي مِنَ السَعادَةِ .. قَليلاً " .

تعجَّبَ من جُملَتها الطَويلةِ ، و هي التي تَختصِرُ الحروفَ كَمَنْ يُسأَلُ عنها أو يَدفَعُ ضَريبةً على الكَلامْ ! ، ابتسمَ ابتسامَةَ انتصارٍ لَم تعهَدهَا و كأنَّهُ نالَ وِسامَ الجَدارَةِ عَن الوُصولِ لهذهِ الرُتبَةِ المُتقدِّمةِ من الفَخرِ.. أرادَت أن تَسرِقَ نَظرةً خاطِفَةً للونِ عَينيهِ ، لكنَّها انهَزمَتْ أمامَ نَظرتهِ و تَدَارَت بالتَراجُعِ خُطوتينِ و عَامْ ، كالمُعتادِ .. لديهَا خَوفٌ غيرَ مُسَوَّغٍ يُدعَى الهَربَ من العُيونِ.. و لديهِ حَالةٌ من الفُضولِ طَغتْ على الصُورَّةِ و فاقَتْ التعجُّبْ ..

قال " هَل تَرينْ .. ؟ تلكَ الجنَّةَ هُناك ؟ "

قالَت و هِي تتلَّفتُ .. " أينَ ؟ "

قال " بِفُستانٍ من النُورِ أراها تَدورُ دَورتينِ حَولَ البيتِ المُزَّينِ بأَحجَارٍ حَمْرَاءَ و شَجرةِ لوزٍ على بابِهِ ..؟ "

قالَت باستهزاءٍ .. " أين ذلِك ! " .

قالْ " هُنا " ؛ مُشيراً لعينيهِ ، دَعاها لتنظُرَ فِي عينيهِ دونَ حُدْوُد، تسنَّى لها بِلَحظَةٍ أن تَنظُرَ لعينيهِ ، لكنَّها لم تُدرِك لونَهُمَا ! و لم تَرَ فيهما ما سَردَ من حِكايَّةٍ .. لَم تَرَ الجنَّةَ التي يدَّعِي أنهُ لوَّنها بأحلامهِ وزَخرفَ أبوابَهَا بالغَارِ .. ، ألقَت باللومِ على تركيزِهَا المُشَوَّشِ وعلى إدراكِها الأقَّلِ من المُمتازِ لأنَّهُ لَمْ يَلتقِط إشارَةَ اللونِ بِنَقاوَةٍ .

كانَت حركَتهُ الخاطِفَةُ التي يُمارِسُها كُلمَّا وجدَ نفسَهُ مُحتَجَزَاً فِي مجالِهَا .. مُباغِتَةً ، لتنسَى مَعانِيَ الألوانِ كُلَّهَا ! ، .. و مِن هُنا .. ابتدأَتِ الحِكايَّة.

***

إنهُ اليومُ الموعُودِ لوَضعِ حَجرِ الأساسِ فِي رُقعَةِ الحُلْمِ ، ارتَدَت ثوبَاً مُزَيناً بالوَردِ حَاكتهُ خِصيصاً ليومِ رَبيعِها ، خاطَتهُ من حَريرِ ما مَنحتَها اليَرقاتُ ، تزَيَنَّت بأساوِرِهَا الرَقيقَةِ ، و أسدَلت شَعرهَا ليُغَطِي ظَهرهَا..، ولأنَهُ ليسَ من الحِكمَةِ أن يِشترِيَ لها الوَردَ وهِي صاحِبَةُ المحَّلِ وصاحِبَةُ الورَدِ كُلِّهِ.. و صاحِبَتَهُ ، ارتأت أن تَصنَعَ باقَتها بيِدَيها ! ، اختارَت الجُورِيَّ المُخمَلِيّ و ضَّمَتهُم بِشَريطَةٍ من لونِ كريميٍّ ناعِم ..

كانَت السَماءُ غائِمَةً .. و الدَربُ المؤدِي لموعدِ اللقاءِ أقربُ لِلغَيمِ ، حَملَت باقَتَها و وَقَفَت تَحتَ ظِلِّ شَجَرَّةٍ بَدت مُتوَّتِرَةِ الأغصانِ ، تذَكَرت أنها لم تَرتَدِ سَاعَتها ، لِيَقِفَ الوَقتُ بيَنَها و بينَ الانتظار .. قالَت فِي نَفسَها أنهُ لا يَزالُ بالطَريقِ إليَها ، .. انتظرته لفترَةٍ ، كانت تُحصِي المارَّةَ الذين تجاوَزُنَهَا دونَ ابتسامٍ و الذينَ من انشغالَهُم لَم يَلْمَحُوهَا .. ضَربت ظِلَّها بِقوَّةٍ ،و بدأت تميلُ نحوَ جِذعِ الشَجرَةِ ، مَرَّت نَسمَةٌ مشاكِسَةٌ و بَعثَرتْ شَعرهَا ، تشابَكَ الوَردُ فِي ثَوبِها ، حتَّى تبيَّنَ لها أنها بِعَيّني الطِفل الذي مرَّ .. فَزاعَةٌ تَهُشُّ الطيورَ ! ، حاوَلت ترتيبَ ما يَلزَمُها لاستعادَةِ صورَتَها ، و إذ بالمَطرِ يَنهَمِرُ بعدَ إنذارٍ سَريعٍ.. لَم يأتِ صاحِبُ الرَبيعِ المُتأخِرِ .. " رُبما غَرِقَ .. لا بُدَّ أنهُ غَرِقَ " هذا ما قالتهُ لنَفسَها و كأنَّها بِحاجَةٍ لعزاءٍ يوَّجَهُ التيهِ فِي مَشاعِرَها ، لوُضُوحْ.

أشعَلتْ الموقِدَ و بدأت تُجَفِّفُ دموعَهَا التي انهَمَرت اثرَ موعِدٍ لَم يَكتَمِلْ .. كانت التَساؤلاتُ تُحاصِرُها و تَتَراكَمُ فِي رأسِها ، أما عَلاماتُ الاستفهامِ فقَد تربَّعت على سَقفِ الكآبَةِ فِي ملامِحَهَا .. لدرجَةِ أنها لم تنتبِه أن النارَ لَسَعت يَديهَا ! .. فَزادَت بالبُكاءِ ، و كأنَّ الذي مَسَّتهُ ألسِنَةُ النارِ ... قَلبَها !

بعدَ انقِضاءِ يومينِ كامِلينِ بنهارِهما و لَيلِيهِمَا ، لَمَحتْ لهُ طَيفاً خلفَ الزُجاجِ و هي تُعِدُّ كَعكَةً هَشَةً .. ، لَفتَ انتباهَها ذلِكَ فَهُرِعَت لِبِاَهَا كَي تتأكِدَ ، لم تكُن مُخطِئَةً ، فقدَ كانَ يَقِفُ فِي البابِ خافِضَاً رأسَهُ ، مُتكتِّفَ اليَدينِ ، بَدا جاهِزاً للدخولِ مَعها فِي مُحاكَمَةٍ ، بدورِهِ ضَحيَّةً .

فَتَحتْ لهُ البابَ و أعطَتهُ ظَهرَهَا .. ، فدَخَل بِخُطوَةٍ كَبيرَةٍ ، وقالَ لها .. " آسِفْ .. كُنتُ غَارِقاً .." ، قاطَعتهُ "أعلَم ومثلُكَ غَرِقَتُ .." ، قاطَعَها " .... بالدُيونْ ! " .

بعدَ لَحَظَةِ صَمتٍ أطبَقت على قَلبِهَا ، وَجدتهُ يحمِلُ كَفيَّها المُلتَفتينِ بالشاشِ .. ، " ما بالُهما .. " قال ، فقالَت لهُ " لِمَ قَد تهتَمْ ؟! .. أخبِرني عن غَرقِكَ " ..

جَلسا على مِقعَدينِ عاليَينِ ، مُطِلاَّنِ على الخارِج ، غيرَ مُدْرِكَينِ أنَّ الوردَ بألوانَهِ الجميلَةِ مُنسَجِمٌ دونُهَما فِي الداخِل ، .. احتَفظَت بكَلماتِها فِي صَدرِها رُغمَ أنَّهُ كان قابِلاً للإفصاحِ عَما اكتَنزهُ من أسئِلَةٍ أثقَلت رُفوفَ حُجُرَاتِهِ ذاتَ بُكاءْ ، لِيَسودَ ملامِحَهُ عَجزٌ عن البِدءِ ، .. فسألتهُ "حَدِّثِنِيْ .. " ، و انسَحبت تُكمِلُ صُنعَ كَعكَتِهَا ..

قالَ : كنتُ أريدُ أن أفاجِئَكِ كما لَم يفعل أحدٌ أبداً ، لكن وَجدتُ نفسِي فِي عَجزٍ مالِيٍّ لَمْ أحسِبْهُ، كان لا بُدَّ من تَصْويبِ بعضِ الأمورِ .. بِشَكلٍ عَاجِلٍ لا يحتمِلُ التأجيلَ.

قالت بِبرودٍ : حَسناً .. فاجَأْتَنِي حقاً .

قَالَ : ليسَ مُهماً مَا حَصَل .. سنُحَدِّدُ موعِداً آخَر ، و مكاناً أجمَل .. يوماً لا يكونُ بماطِرٍ ..

قالَت بِتَجَهُمٍ : كَي لا تغرَقْ ..؟

سَاعَدهَا بوضِعِ الكَعكَةِ فِي الفُرنِ ، بِحَملِ صناديقِ الأزهارِ الثَّقيلَةِ.. بِتلميعِ زُجاجِ النوافِذِ .. بدا بضَميرٍ عَذبٍ و كأنهُ يُكَفِّرُ عن ذَنْبِهِ ، .. ما إن خُبِزَتْ الكَعكَةُ ، تناولاهَا دافِئَةً مع كُوبينِ من الشَّايِ ، وتكَلمَا ..

أخبَرها أنهُ صادِقٌ فِي محبَّتِهِ ، و أنهُ لن يَنْسَى مَواعيدَهُمَا .. و أن فِي جَيبِ قَميصِهِ هديَّة لهَا ، لكنَهُ لن يُعطيها إليَها الآنْ ..! . فلانَت من غَضَبِهَا ، أخبَرتهُ أنَّ فُستانَهَا اتَّسَخَ .. و أن باقَتهَا ذَبُلَت .. ، و أنهَّا لمساعَدتهِ لهَا .. عَفَتْ .

هوَ لم يَعلَم بأمرِ النارِ التي طالَت قَلبَها ، و هِيَ لم تعلَم كيفَ لِلمسَةٍ منهُ أن تُشفِيَ يَدَيهَا !

***

كَي يتفادَيا مواعيدَ المَطرِ ، وكَي لا تغافِلَ مواعيدَهُمْا غَيمَةٌ هارِبَةٌ لأقصَى الشَّمالِ، قاما باختيارِ موعِدِ إزهارِ أشجارِ اللوزِ عِنواناً لعَهدِهَما.. ، و حتَّى ذلِكَ الحينِ ، بقِيَّتْ صَبَاحَاتُ الوَردِ و مَسَاءَاتُ القَهوَةِ حاضِرَةً كَي توثِّقَ رِباطَ ابتسامَتيهُمَا .. ، فِي هذهِ الأثناءِ ، هي تُحاوِلُ بِجِدٍ للوصُولِ لهَديتهَا المُخَبَّأةِ فِي جَيبهِ ، و هوَ يسعَى لِكَسبِ ثِقَتِهَا كَي تَمنَحهُ قَلبَها وِسَاماً يتقلَّدُهُ على صَدرهِ ..

ظَهيرَةٌ استثنائِيَّةٌ ، كَفيلَةٌ بأن تبثَّ الدِفءَ فِي دَربِهَا ، و الضوءُ فِي قَلبِهَا ، لِتختارَ رَفعَ شَعرِهَا و فُستاناً لا تُدارِي شفافِيَتُهُ كَتِفَيهَا .. فِي الموعِدِ تماماً أتَّى ، فِي يَديهِ باقَةٌ من سَبعِ أزهارِ توليبٍ بنفسَجِية ،ابتَهَجت بِحملَها و بَقِيَّت تلْمِسُ بَتلاتِها بِحُنُوٍ .. ، غابَ عن ذِهنِهَا أنها أمُّ الأزهارِ كُلِّهَا .. ، لحينِ تَنَبَّهَت أنَّ لا جَيبَ لِقَميصِهِ !

صُورَّةٌ مَكتَظَةٌ بأغصانِ زَهرِ اللوزِ ، تبايَن فيها اللونُ الأبيَضُ مع الوردِيِّ ، تباهَت بِهما التفاصيلُ عِنْواناً عَريضَاً ، و أُغلِقَ عليها بإطارٍ خَشَبِيٍّ ..

بانحِسارِ ضُوءِ الشَمسِ، و تناثُرِ نُوّارِ اللوزِ مُفترِشاً الأرضيَةِ .. غادَرَ الجميعُ مُوَّدِعينَ بابتسامَةٍ .. فقَد انتهَّى الحَفلُ الصَغيرُ بِتَتويجِ كِلَيهُما بِعَهدٍ و مَصيرٍ، ولكنَّهُمَا جَعلاهُ أطوَل قَليلاً، .. بِسَرقَتِهما لِرَقصَةٍ طَويلَةٍ!

بريقُ جَوهَرةِ الخَاتمِ الذي يَحمِلُ حُرُوفَ اسمهِ فِي إصبَعِها لَمْ تَخْبُ ، كانَ يَنعكِسُ لمعانُهُ فِي عَينيهَا .. بَقِيَت تَستعرِضُ أصابِعَهَا و كأنهَّا تعُدُّهَا ، وقَد نَسْيت سَبب الندوبِ فِي يَديهَا..، أفصَحت لهُ عن سَعَادَتها بمعرِفَةِ مَخْبوءِ جَيبهِ ، فأطلَقَ ضِحكَةً عاليَةً .

***

مرحَلةُ تجهيزِ عُشِهِمَا ؛ تُريدُ أن يكونَ اللونَ وردِياً .. ويريدهُ بلونِ السَماءِ ، تريدُ قِطَّةً بيضاءَ جميلةً ، يُريدُ كلباً ضَخماً بِحَجمهَا ! ، تُريدُ الحديقَةَ ورداً ، و يُريدُها ثَمَراً .. تُريدُ ستائِرَ رَقيقَةً ، و يُريدُ نوافِذَ مُقفَلةً و سِياجَاً ! .. بدَت الأمورُ مُعَقَّدةً لعدمِ توافُقِهِما بأصغَرِ الأمورِ ، رُغمَ أنهُ كَرَّرَ على مَسمَعِهَا "سيكونُ لكِ ما تُريدينْ " ، لكنَّها وَجدتهُ يُخالِفُ واقِعَ ما كانْ .

من هُنا بدأت مخاوِفُهَا تَبني فِي أركَانِ بَيتِهما خُيوطَاً ، فَبِبُطءٍ وهُدوءٍ بدأ يَنسَحِبُ بِحُجَّةِ أعمالٍ و رَصيدٍ ، إلى أن طالَ عَنْكَبوتٌ دَخيلٌ يَبني لِسُكُناهُ فِي زوايا بَيتِهما .. شَبكةً !

بَدت وكأنَها تائِهَةٌ عَن سِرْبِهِ ، توَّدُ لَو تطالُ جِهاتَهِ بعُنوانٍ وَاضِحٍ ، لكنَّهُ كانَ أسمَى من العُلُوِّ الشَاهِقِ الذي قَد تَبلغهُ من على سَلالِمَها .. بَدا أنهُ يُمكِنهَا مُمارَسَةُ أعمالِهَا بذاتِ الشَّغَفِ ، كأنَّ الواجِباتِ تتغذَى على تَكَاسُلِ الخُطوَةِ فيها ، و المُتطلباتُ تتأجَلُ إلى أجَلٍ غيرِ مُسمَّى ..

بِنَظرَةٍ شارِدَةٍ إلى سِلالِ الوَردِ التي تآكلتْ اطرافُ بَتلاتِها لإهمالِهَا لها ، وَجدت نَفسَها تتَحَسَسُ دَفقَها .. إنه ينبِض و لكِن .. لأجلِ مَنْ ؟، أخافَها أنَّ شَيئاً دَفيناً فيها قَد يَذبُل فَتتَجَعَّد ، فوَقفَت على قَدمَيها و باشَرت بالعمَلِ .. لأنَّ الوَردَ إن لَم يُسْقَ سَيموتُ ، كانت على يَقينٍ أنهَا وَردَةٌ .. سَتُقدَّمُ يوماً ما لِشَخصٍ ، وكم تَخشَى أن لا يَقبَلَ بِها ، و كانت

أكبرُ مخاوِفَها أن يَضعَها فِي كِتابٍ جَمْيلٍ بعنوانَهِ و قِصَّتهِ .. ، و من قَساوَةِ الحَظِ أن يكونَ .. لا يقرأْ !!

بعدَ نهارِ عَملٍ استعادَت فيه الصورَّةَ اليانِعَةَ لورودِهَا ، جَلَست على الكُرسِيِّ ، استَشعَرت وِحْدَتَها بِفراغِ الكُرسِيِّ المقابِلِ.. شَعرَت بِرَغبَةٍ عارِمَةٍ باللجوءِ لأذنٍ تَسمَعُ ، أو عيَنٍ تَنظُرُ داخِلَها .. وَ تَدمَعُ ، لَمْ يَطرُق بَابَها الزُجاجِيَّ أحدٌ ، و كان يَحصُلُ مِراراً أن تَتَوقَفَ الأرضُ عن الدورانِ فلا يولَدُ طِفلٌ .. و لا يموتُ ظِلٌّ ، بالتَالي لا يَقصِدُ محلَّ الوردِ أحَدٌ ! ، ... فَتَحت دَفترَها ، قلَّبت فِي أوراقِهِ .. اختارَت صَفحَةً مُشرَعَةً على الأبيَضِ ، و كَتبَتْ ..

"لعناوينِكَ المُبهمَةِ أكتُبُ ، رُغمَ أنهُ لا داعٍ لبذلِ الكلماتِ فِي سَبيلِ الوصولِ إلى لا مكانْ .. لكن لا بُدَّ من تأديَّةِ دَورِ الحَنينِ وتَحْميلِ ساعِيَّ البريدِ إثمَّ الضَلالِ ! قَد يُرضِي السَطرُ حَاجَتي لِمَن يحمِلُ عَني الدمعَةَ التي تخجَلُ من غِيابِهِ و تَرفضُ الانحناءَ حينَ لقائِهِ ، لا بُدَّ مِن شُمُوخٍ يصعَدُ بِي لقَرارٍ حَاسِمٍ ، فإمَا فاصِلَةٌ و انتظارٌ ، أو نُقطَةٌ وانفجارٌ."

فِي ذاتِ اللحظَةِ التي كانت تَكتُبُ الكلمةَ الأخيرةَ فِي رسالتَها أعلاه ، طَرقَ مَرتينِ غَليظَتينِ و مرَةً رَقيقَةً على النافِذَةِ أمامَها ! ، و إنهَا لرَمْزُهُ الأكيدْ ، بدا لها و كأنهُ طَرقَ فِي صَدرِها لترتعِدَ و تترُكَ ما فِي

يَدِها من رِسالَةٍ لم تكتَمِلْ بِقَرارٍ ، فَتَحت لهُ البابَ ، مع أنهُ أخبَرها أن لا تُهرَعَ للبابِ إلا عندما يُبدي إشارَتهُ الفَريدَةَ .. لكنَّهُ على ما يَبدو أخطأَ بينَهما .. البابُ و النافِذَة !

***

جُيوبَهُ التي لَم تكُن تحمِلُ الحلوَى .. كانت مُكتَظَةً بأوراقٍ غيرِ مفهومَةٍ ، مليئةً بأسمَاءٍ و أرقَامٍ و إمضَاءاتٍ مُريبَةٍ ، لَمْ تفهَم مُحتوَى الرياضِياتِ فيها ، مع أنَهُ شَرحَ لها مُسهِباً أنها دُيُونٌ مُوجَبَةُ السَدادِ .. فأخبَرها بِلُغَةٍ أبسَط ، و هِيَ القادِرَةُ على فَكِ شيفرَةِ اللُغزِ بالعَادَةِ .. قال بصريح العِبارَةِ و باختصارٍ " إمَّا أدفَعُ أو .. أُسجَنْ " .

بِحِسابٍ سَريعٍ منهَا لِمُعادلاتِهِ ، وَجَدت نَفسَها تُحصِي ما تملِكُ فِي كيسِهَا الصَغيرِ .. لِتُقَدِّمَهُ وكأنَها تُريدُ شِراءَ غِيابِهِ و انشغالِهِ بهذا المِقدارِ الذي بالكادِ يُسَدِّدُ الدَّيْنَ و حَسبْ ..! ، ابتسامُتَها كانَت بَريئَةً ، و كذلِكَ ابتسامَتُهُ التي بادَلها إيَّاها .. ، أخبَرهَا أنهُ سَيفِي بوعودُهِ بِبنَاءِ رَّفٍ لِغَيمَتِهِمَا، و أنَهُ لاحِقاً سَيُخَبِّئُ فِي جُيُوبِهِ .. ما يُسعِدُهَا !

لَم يَغِب عَن مَسَاحاتِ الوردِ الخاصَّةِ بِهَا، كانَ يُلاحِقُهَا وكأنهَّا فراشَةٌ تَدورُ حولَ الصناديقِ ..، يباغِتُها أحياناً من خَلفِ وَردَةٍ كَبيرَةٍ بِيَدَيهِ الفُستُقُ ، أو يختبِئُ فِي سِلالِ الوَردِ و يَنثُرُ قُربَ البراعِمَ ؛ فُستُقاً .. كانَ مُشاغِباً كَطِفلٍّ لا يمَّلُ اللعِبَ و لا يَتعَبُ ، وكانَت جُيوبُهُ وَفيرَةً جداً ، لِلَحظَةٍ خُيِّلَ إليها أنَّ فِي حديقَتِهَا .. سِنجابْ .

مَرَّت الأيامُ بانسِجامٍ ، و حانَت مواعيدُ إزهارِ الاوركيدْ ، دَعتهُ لمراسِمَها الخاصَّة ، لِيَحتَفِلا معاً بِإغلاقِ بابِ رَبيعٍ يجَدِّدُ بعدَهُ مواعيدَ رَقصَتَهِما التَّاليةِ .. ، هُوَ لَم يَجِد ما يُعينُهُ على فَهمِ الزَهرةِ ، و هِي لَم تَجِد

سَبباً وَجيهاً لطَلبهِ التَريُّثَ رُغمَ أنهَا بالكَادِ كانت تَلفِظُ أنفاسَها بِتَتَبُع خُطوتهِ الكَبيرةِ بالوصولِ إلى الآنْ ..

قَضَت أسبوعينِ ترصُدُ تفَتُّحَ الاوركيد ، كمَن يَنتظِرُ أمنيَّةً ، كانت تشابِكُ أصابِعَ يديهَا معاً و تَصمِتُ ، كان قَلبُها يُدندِنُ تَميمَةً تسألُ الزَهرَة الخلودَ ، هي تعلَمُ أن مآلَ الزَهرَةِ الإنطِفاءُ و أنَّ عليهَا الانتظارَ أكثَر، تعاظَمت مخاوِفُهَا فِي قَلبَها وَ لم يَعُد يُدَندِنُ ، تأكَّدَ لهَا أنهَّا ،تناضِلُ أيضاً من أجلِ البَقاءِ .. ذَرفَت دَمعتينِ وَجَفَّتا وحدَهُمَا .. لا أدري ما الذي جفَّ الاوركيدُ ، أم دَمعتاهَا ..!

تُبديهِ الأيامُ و كأنَّهُ مِن سُكَّرٍ، يعلَمُ أن مرارَةَ النهارِ الذِي لا يكونُ فيهِ قُربَها أشبَهَ بالعَلقَمْ ، يعلَمُ أن دموعَهَا المالِحاتِ تحفُرُ على وجنَتَيَّها دَرباً كُلَّ لَيلَة ! ، هوَ يعلَمُ أنها طِفلَةٌ بكَّاءَةٌ ، يُبهِجُهَا حُضورُهُ ويُبهَتُ جَبينُهَا فِي غِيابِهِ ، لذا استسَاغَ العزفَ على هذا الوَترِ ، وَ أتقَنَهُ .

طَرقَةٌ واحِدَةٌ على البابِ لَم تَستوجِب منها الإسراعَ نحوَهُ .. هذا ما كانَ فلَيسَ رَمزُهُ ، فَتحَتهُ ؛ و إذ بِباقَةِ ورَدٍ كَبيرةٍ جداً ، خبَّأت وَجهَهُ .. ، التَقَطتها منهُ و أودَعَتها يَديهَا و خبَّأتْ وَجهَها عنهُ ، ليزيدَ ارتباكَهَا قولُهَ " وردَتي .. أجمَلْ " .

بَدا سؤالَهُا واضِحاً كأنهُ فُقَاعَةٌ تَدورُ فوقَ رَأسِها ، ما إن بَدَّدَها سَريعاً بإجابَتهِ "أكَملتُ جَنَّتنا و اقتَربَ وَقتُ تَتويجَكِ " قالَهَا بِحماسَّةٍ بِلَمحِ البَصَرِ اختفَتْ ، "لكِنْ .." .

هِي : لكِن .. ماذا ؟.

هوَ : لأجلِكِ فقَطْ ، سأتحمَّلُ كُلَّ صَعبٍ ..

هِي : لأجلِيْ ..!

هوَ: عَليكِ أن تُساعِديني ..

هِي : بَسِّط لِي المُعضِلَة ، لَستُ أفهَمُكْ .

هوَ : أريدُ مَبلغاً كَي أسَّورَ الجَّنة ، و هذا لأجلكِ ، لأجلِ أمانَكِ .. وَقتها لَن يدخُلَ غُبارٌ رُفوفَ ألعابَكِ .. و لَن يَسرِقَ السُنونو حَباتِ الكَّرزِ الأحمرِ من شَجَرَتِكِ ، و لَن تهرُبَ القِطَةُ البَيضاءْ .

هي : مهلاً .. لِمَ قَد يَسرِقُ السنونو كرَزاً ، هل زَرعت شَجَرَةً حقاً على بابِنا ، انتَظِرْ .. قِطَّةً بيضاءْ !!

هو : نعَم ، لأجلِكِ ، فعلتُ كُلَّ ما تمنيتِ .. سأجعلُهَا حقاً جَنَّتَكِ.. و لكِنْ ، كلَّفني الأمرُ الكَثيرْ ..

هِي : لا بأس ، لأجلِكْ .. جَنَّتِي ..

جَمعَت كُلَّ ما فِي رَصيدِها، وأعطَتهُ إيَّاهُ و هي تَحتَ وطأةِ إبتسامَتهِ، شَعرَت أنَّها سَتطيرُ من فَرطِ خِفَّةِ قَلبِها ، لَمعت عَيناهَا بِسَعادَةٍ غابَت عَنها ، و راحَت فِي خَيالِها تَبني و تَرتفِع ، يا تُراهُ اختارَ شَجَرةً وارَفَةً حقاً .. بالزاويَةِ التي أريد بالقُربِ من العَتبَةِ .. ، و كيفَ يَجرؤُ السُنونو على فَعْلَتِهِ سَوفَ لَن أسمَحَ لهُ بالتَعدِي على حَديقَتي، يا تُراها القِطَةُ بِفراءٍ كَثيفٍ و عَينينِ زرقاوَتينِ و تُحِبُ اللعبَ بِقَلمِ الليزَر ، سأحضِرُ لها الكَثير من الألعابِ ..

استعادَت وعيَّها ، بدخولِ شابَةٍ جميلَة ، سَألتها باقَتينِ متماثِلَتينِ ، تعجَبت من طَلبَها ، و إذ بِه غادَرَ ،دونَ أن تَنتَبِه ..سألتها عن المُناسَبةِ لتجيدَ اختيارَ اللونِ و الشَريطْ ، فأخبَرتها أنها لِطِفلَتينِ توأم ، تعلمَتا الكِتابَة ! ، فحضَّرت لَها باقَتينِ من قُرنفُلٍ أحمَرٍ ، بِشَريطَةٍ بيضاءَ ، وحينَ حاسَبتها ، تنبَّهَت أن لا نقودَ فِي صُندوقِهَا ، و أنَّ اليومَ يصادِفُ تحصيلَ أحَد التُجارِ لمَبلغ بَيع وُرودِه !

بَعدَما خَرجَت الزَبونَةُ ، هُرعَت للخارِجِ علَّها تَقتَفِي لِطَيفهِ أثَراً .. لَمْ يكُن بالجِوَارِ .. و يا لَهَا من مُشكِلَةٍ ، أغلَقت البابَ و استَندَت عليهِ لتفكِّر بمخرَجٍ غيرَ هذا البَابْ ، و إذ بالتاجِر يَطرقُ الجَرسَ، التَقطَتْ صَدمَتها من على الأرضِ ، أودَعتهَا قَلبَها و حَبسَت دمعَتهَا كَي

لا تضطَر لإلتقاطِهَا هي الأخرى.. و أخبَرتهُ أن يأتِيَّ لاحِقاً ، بِحُجَّةِ أنها مُتعبَةٌ جِدَاً .

تحوَّلت المشاعِرُ الجَميلَةُ التي تَركهَا بِها إلى زوبَعةٍ ، حاصَرتها الأفكارُ مِن كُلِّ صَوبٍ ..لَمْ تَستطِع الصُمودَ امامَ اعصارِ الهَواجِسِ ، .. على أرضيَّة المحَلِ .. جَلسَتْ ، أحاطَت بِها هَالَةٌ من عَتمٍ ، بعدَما أُسدِلَ سِتارَ أحلامِ اليَقَظةِ على المَشهَدِ فَصلَهُ .

***

عُمرُ الوَردِ قَصيرٌ ، وَ وَقتُ تَحصيلِ رَيعِ بَيعِها سَريعٌ .. ، أسبوعٌ واحِدٌ كانَ كَافياً لِتَبيعَ كُلَّ الزهورِ و تَؤولُ إلى صَناديقَ فارِغَةٍ ، كانَت قَد بَذلَتْ مَجْهُودَاً استثنائياً بالتَرويجِ والعَرضِ لاستقطَابِ الزبائِنِ، استَطاعَتْ فِعلاً سَدادَ التُجَّارِ ، ولكنْ .. مِن أينَ لَها أن تَشتَرِيَ زُهُوراً جَديدَةً .. لتبدأَ الغَدْ؟

بَدت واهِنةً إثرَ دوامَّةٍ بَنت فِي رأسِهَا دُواراً ، أما عن أصابِعَها التي افتَقَرت لِمَلمسِ بَتلاتِ ورودِهَا ، فقَد ارتَعدَت من دَهشَةٍ غَيرِ مَسْبُوقَةٍ.. فكيفَ لها أن تُدرايَ وَحشَة الفَراغِ الذي أحَاطَ بِها .. تَمنَّت لَو يأتِي على وَجهِ السُّرعَةِ و يَسنِدُ ثِقَلهَا ، يملأُ عالمَهَا .. و ينهضُ بِهمَا معاً .

حَملَت ظِلِّها على كَتِفَها ، رأسُها أثقَلُ مِن أن تَرفَعَهُ ، خُطواتُهَا بَطيئَةٌ رغمَ أن أنفاسَها سَريعةٌ .. وَصَلت للبَيتِ علَّها تَجِدُهُ ، حينَ وَصلت للبابِ تجمَّدَتْ ، كان صَوتُهُ عالِياً ، و كأنَّ حَرباً أطبَقَت عليهِ بِباب ، و كانَ لا بُدَّ أن تطرُقَ عليهِ لِتَنتَزِعَهُ مِن حَالتَهِ الهستيريَّةِ ، لَم يَسمَع الجَرْسَ أو رُبما سَمعَهُ ، جَلست على الدَّرَجِ الخارِجِيِّ ، و حاوَلت أن تصغِي علَّها تَسرِقُ عنواناً كَي تَفهَمَ .

بعدَ دقائِقَ معدودَةٍ ، انحَسَرَ الصَوتُ ، و أطبَقَ الصَّدى يُداوِلُ فِي مَسمَعِها بقايا صَوتٍ .. فَتحَ البَابَ بِسُرعَةٍ ، و لم تُعِنْهَا اللحظاتُ على

الوقوفِ ، رآها تحمِلُ رأسَها بِيَديها ساهَمَةً بِه ، طالَهُ ذهولٌ ، أما هِي .. فكانت فِي قِمَّةِ الذُبولْ .

بِفُنجانِ قَهوةٍ ، كَسَرَ الضَبابَ الملتَّفَ حولهَا كَشَرنَقةٍ ، أخرجَها للحَديقَةِ ، لِتَكبُرَ مع النُورِ ، و تنضُجَ فَراشَةً تدورُ حولَ شَجرَةِ كَرزٍ وارِفَةٍ ، خانَها الحُزنُ ، هذا ما بَدا حينَ سَمِعَت صوتَ مُواءٍ قَريبٍ ، و إذ بِها قِطَّةٌ تمَّنتها .. ، أيُّ سِحرٍ يَكونُ الذِي سَرى مَفعولُهُ فِي قَلبَها ، حينَ رأت وعودَهُ حَقيقَةً ، ليَجعلَها هذا تَستصغِرُ مُشكلَةَ المَحَّلِ ، و تُبدي سَعادَتهَا بِإبتسامَةٍ مُشرَعَةٍ على سَماءٍ لا تشوبُها غَيمة ..

هوَ : أخبريني الآنَ ما الذي أتَّى بِكِ ؟

هي : أردتُ أن أسأَلَكَ مُساعَدتي ..

قاطَعهَا .. : أترينْ ، مشغولٌ كنتُ لأجلِكِ ، انظرِي لِكُلِّ هذهِ الزهورِ لقَد جَلبتُها لأزرَعَها على طُولِ الحَّدِ الفَاصِل بينِ الأشجارْ..

هِي : بَعضُها ذَبُلَ بالفِعل ، يَجِبُ زِراعَتُهَا .

بالفِعلِ استَجابَ لِرَغبَتها ، بَدت و كأنها أميرَةٌ ألقَت بِتعويذَةٍ على قَلبهِ ، أحضَر الأشتالَ و بدأ يُمَسِّدُ للزهورِ الصَغيرةِ أرضَاً ، ساعَدتهُ بِتَمريرِ الزهورِ ، و انتقاءِ الألوانِ و الأنواعِ ، و رَيِّها .. فِي هذهِ الأثناءِ

كانت تَتبَعُ حَركَتهُ بِعنايَةٍ ، تودُّ أن تسألَهُ ألفَ سؤالٍ لَمْ تجِّدِ معادَلةً لِترتيبِ أولوياتِهَا ، فانتَقت أقرَبهُ ، "سَمعتُكَ تَصرُخُ.. ما الأمرْ ؟ "

وَقفَ و نَفضَ يديهِ من تُربَةٍ عَلِقت بأصابِعهِ ، و توجَّه نحوها .. "لا تتَحركيْ " ، تشَنَّجَ جِفنُ عَينيَها .. و تجمَّد بِها الدَم ، و قَبل أن تلحَظَ أنهُ قَريبٌ جداً ، أمسَكَ دودَّةَ أرضٍ من شَعرِهَا ، و راحَ يراقِصُهَا أمامَ عَينيَها .. ؛ صَرخَتْ و ضَربت يَدَهُ بِحركَةٍ لا إراديَّةٍ ، كانَ سَبقَها بِإطلاقِ ضِحكَةٍ مَجنونَةٍ وتَّرت بِها النَبضْ ، و راحَت تحُرِّكُ رأسَها لتتأكَد أنَّ لا غَيرَها .. يَسكُنُ تَفكيرهَا.

لَم تَلحَظ أن مُعظَم أسئِلَتَهَا تُمحَى عن سَطرِ الحالَةِ بِشَكلٍ وِديٍّ ، لذا لَمْ يُكتَبْ لها أن تُطرَحَ ثانِيَّة ، استعادَت السَبَبَ وراءَ وجودِهَا ، وأخبَرتهُ بَعدما أنهيا العمَل بأنَّ المحلَّ يفتَقِدُ لِبضاعَةٍ ، و أن لا سيولَةَ لدَيها لإقتنائِهَا ، فأخبَرها أن الحَّلَ بَسيطٌ ، و بِمُتناوَلِ اليَّدِ لَو أصغَت لهُ و آمَنتْ بِه .

***

فِي اليــومِ التــالِي ، توَّجَــهَ للمَحــلِ ، لَــمْ يَطــرُق بابَهــا برمــزِهِ للتأكيدِ ، فقَـد كانَ البـابُ مفتوحَـاً .. دَخـلَ و فِي يَديـهِ ظَـرفٌ بُـنِيٌّ ، مَبلَـغٌ مــن المــالِ ووَثــائِقُ ، أعطاهَــا إياهَــاً بِثِقَــةِ مُحــارِبٍ عادَ مــن مَعركَتــهِ مُنتصــراً .. دونَ سِــلاحْ ! ، ســألتُه مَصــدَرهُ ، فأخبَرهــا أنــهُ لأجلِهــا مُســتعِدٌ لِفعــلِ أيَّ شيءٍ ، لأجــلِ ســعادَتها لا يَحتــاجُ لأيِّ شيءٍ مِنهــا ، توقيعُهَــا على شِــيك و حَســب لتَســديد المَبلــغِ للصَديقِ الذي أقرَضهُ المالَ .

جَلسَت على الكُرسِيّ، وأطلَقت نَظرَةً شارِدَةً على صَناديقِها الفارِغَةِ من الوَردِ ، لَم تُحصِ عددَ الصَناديقِ ، فالوَعيُ فيها مُغيَّبٌ من رَجعِ صَدى الحُزنِ فِي قَلبِهَا..، قاطَعَ سِلسَلَة أفكارِهَا الفارِغَةِ بوضعِ الشيكاتِ أمامَها، وبدأ بِرسَمِ أحلامَهِ على جُدرانِ المَحلِ ، و مَلءِ الصَناديقِ بالألوانِ و زَخرَفةِ الغَّدِ بالذَهَبْ..، استرسَلَ بالوَصفِ حتَّى أن عَينيهَا استعادَت لمعانَهَا لِبُرهَةٍ ، وأنهَى خِطابَهُ بالنزولِ من عَلياءِ سمائِهِ بِأنَّ كُلَّ شَيءٍ سَيَكُونُ كَما تتمنَّى ..

أمسَكت بالقَلمِ و أصابِعُهَا ترتجِفُ ، تزامُناً مع اللحظَةِ التي وضَعت بِها نقطةَ الحِبر الأولَّى على الوَرَقَةِ ، تجَّمَدتْ .. ، "لِمَ لا توقِّعُ عليها بِنَفسِكْ ..؟ " ، و اجابَتُهُ أتَت حَاسِمَةً بأنهُ شَرطُ ذلك الصَديقِ

الذي يُريد مُساعَدتَهَا ..! ، بدا إقناعُهَا سَهلاً ، و ما بينَ شَكٍ و شِيكٍ ، إنتهَى الأمرُ بتسويَّةٍ لا تَنتمِي للعدالَةِ و لا تُنسَبُ للمَنطِقْ .

***

هامِشْ ؛

الوَردَةُ النَقديَّة ؛ لا تُقَدَرُ بِثَمنٍ ..أو لا قيمَة لها ؟

"ضَع زَنابِقَ السَلامِ فِي الداخِل ، أما الكَرْمَة العَذراء فَلْتَبقَ أمامَ المَدخَل .. نعم هُنا الضُوءُ جيدٌ .." ، بَدت مُتحَمسِةً و هِي تُشيرِ بأصابِعِهَا للعاملينِ عن مَكانِ وضعِ الزُهورِ و النَباتاتِ ، كانَت مشغولَةً جداً لتتجاهلهُ رُغماً عَنها ، بقِيَ على الكُرسِيِّ الطَويلِ يَنتظِرُ إشارةَ إصبَعِها .. حَتى انتهَى تَرتيبُ الحمولَةِ ، ليتوجَّهَ نَحوهَا و يَضَع قُبعَتَهُ على رأسَها .. و يقولْ : " استراحَةُ وَردَة " .

أعدَّت كوبَي قَهوةٍ ، الإبتسامَةُ لَمْ تُغَادِر وَجنَتيها ..و بؤبؤُ عَينيهِ لا يُخطِئُ زاويَّةَ خُطوَتِهَا ، أما جَلسَتُهُ فقد كانَت كَمَلِك ، واثِقٌ بِأنَّ تصفيقاً صَغيراً منهُ قَد يُلَبِي ضِحكَتَها ..

هِي : " تفضَل قَهوتَكَ .. "

هو : " ما رأيُكِ .. كُلَّ شيءٍ كما يَجِبْ .. سَعيدَة ؟ "

هِي : " نَعم .. و لكِنْ ... "

فقاطَعها : " لا مكانَ لـــ " لكنْ " ، كُلُّ أمورِكِ طَيبةٌ " ، و ارتشَفَ من قَهوَتهِ ، و قطَّبَ عن جَبينِهِ .. و قالْ " إنها مُرَّةٌ .. كَمْ مرَّةً قُلتُ لَكِ أحبُها حُلوَّةً ؟"

هِي : " إن كنت سَتغيبُ طَويلاً كُلَّ مرّةٍ .. سأنسَى كيف تشربُها "..

هوَ: "أنا لا أنسَى أيَّ شيءٍ يَخُصُّكِ.. انظرِي لكُلِّ ما فَعلتُ، لأجلِكِ" .

شَعَرت بتأنيبٍ صَغيرٍ فِي الضَمير، حينَ وَجدَت نفسَها تَنسَى ، و مَرَّت أيامُهَا بَعد ذلِكَ و هِي تَتَدَربُ على احتِساءِ قَهوَتِهَا حُلْوةً ، كَي تكونَ حَركةُ وَضعِ السُّكرِ فِي كوبِ قَهوَتهِ .. لا إراديَّةً ، كَي لا تَنسَى ..

***

فَترَةُ الرَبيع .. فَترةٌ تَليقُ بالأعيادِ و الاحتفالاتِ ، ذِكرَى يومُ الأمِ مُناسَبةٌ طَيبَةٌ لتكونَ على أهبَةِ الإزهَارِ ، وَ لِحُسنِ الحَظِّ كانَ حَاضِراً ليُسَاعِدَهَا ، كانا مُتناغِمَينِ كَوَردَتينِ فِي باقَةٍ و احِدَةٍ ، حاوَلَ أن يتعلَّمَ منها كَيفيَّة تَنسيقِ الألوانِ و الأشكالِ .. لَمْ تكُن راضِيَّةً عن ذوقهِ الفَنِيِّ الصَّعبِ ، لكنَّها سايَرتهُ ثُمَّ أخبَرتهُ أنهُ من الأوجَبِ أن يتمَّ إستثمارُ هذهِ القَبضَّةِالقوَّيَةِ بعمَلٍ يَليقُ بِها .. ما رأيُكَ أن ترفَعَ هذهِ النباتاتِ على الرفوفْ ؟، و فعلاً كان يتباهَى بِقوَّتهِ ، و لَم تغِب عن ناظِريَهِ الخُطَّةُ ، ليقولَ لَها " سأترُكُ تنسيقَ الزهورِ لَكِ لأنَهُ يُناسِبُ يَديكِ الصَغيرَةِ .." ، لتضَحَكْ .

يَدخلُ زبونٌ ، يَطلبُ وَردَةً .. تسألهُ ، النوعَ و اللونَ ، بافتراضِ أن المُناسَبةَ معروفَةٌ هذا اليوم.. يَنظرُ حولَهُ و يُبدِي عَدم مَعرِفَتهِ ، فقَد كانَت جميعُ الأزهارِ مُتوجَّةً بعِباراتِ مُعايَدَةٍ للأمْ ،.. "إنهَا لمولودٌ جميلْ..".

فَتَدَاركَتْ أنها استَبقَت الحدثَ ، و حاوَلت أن تُصَوِّبَ سوءَ الفَهمِ و تُشيرَ لألوانٍ تَليقُ بالمُناسَبةِ ، لَم يُبدِ أيَّ حماسَةٍ لاختيارِ شَيءٍ ، فأخبَرتهُ أنها سَتَنتقِي الأجمَلَ و لَيترُكَ المَهَمَّة لها ، و بينَما كانَت تُنَسِّقُ طَلبَهُ سألتهُ عن اسمِ المولودِ ، فأخبَرها أنهُ لا يعلَمْ .. بِتَّوَتُرِ المُحادَثَةِ قاطَعهُمُ بِصَرخَةٍ" أينَ أضعُ هذهِ ؟" .

هوَ بِنَبرةٍ مُنزَعِجَةٍ " ليسَ عليكِ التعامُل بكُلِ هذه الطِيبة .."

هي " عليَّ أن أعلمَ طَلبَ الزُبونَ لأنتقِيَ لهُ المُناسِبْ .."

هوَ " أيَّ نوعٍ مُناسِبٍ.. ! ، لا أريدُكِ أن تَبتَسِمي أمامَ الزبائِنْ !"

تعجَّبت مِن قولهِ .. إنها المرَّةُ الأولى التي يَرفَعُ صَوتهُ امامَها ، لم تعلَم بماذا تَرُدُ ، وما هوَ موقِفها إن كانَ دِفاعاً .. أو إختباءَاً ، فبَكَتْ ..

ضَربَ على الطاوِلَةِ بقَبضَةِ يَدٍ مُقفَلة و قال " تبَّاً لهذه العادَة .. أنا لستُ غاضِباً منكِ!"

هِي " لماذا تتصَرفُ هكذا إذَن ؟"

هوَ " لأنني أحُبُّكِ و أغارُ عليكِ حتَّى من الغُرباءِ ، أنتِ وَردَتِي فقَط ، لا أريدُ أن يَرى أحدٌ هذهِ الإبتسامَةَ القاتِلَة".. و مَسحَ بِأصابعهِ دَمعَتهَا ..

بعدَما غادَرَ لعَمَلهِ ، توَّجَهت على الفورِ لِحَقيبَتها تَبحَثُ عن مرآتِهَا ، نَظَرت بِتَمَعُنٍ لوجهِهَا .. و أخذَت تمثِّلُ إبتسامَةً و تُدَقِّقُ بها من كُلِّ الجِهاتِ .. و تُتَمتِم "ليسَت بقاتِلةٍ ، كم هوَ مُحتالٌ .. قَادِرٌ أن يمسَح دَمعتي و يَستبدِلهَا بِضِحكَةٍ ، أظنهُ سَاحِراً".

***

يَتسابَقُ نوّارُ زَهرِ الكَرزِ و اللوزِ و الرُمانِ فِي التَّفتُح ، النَهَاراتُ تَتوالى لَطيفَةً بما يَكفِي للرَكضِ من أجلِ تَحْضِيرِ الحَفلِ الكَبيرِ ، أما المَسَاءَاتُ فَكَم يَحلو بِها الشَغَب حينَ تُثيرُ الفَراشاتُ حَولَ الضَوءِ رَقصّتَهَا .

كانَ عليهِ أن يَمُرَّ بينِ الحينِ و الآخَر كَي يتفقَّدَ تَحضيراتِهَا ، رُغمَ أنهُ مُنشَغِلٌ جِدَاً بتجهيزِ كُلِّ الأمُورِ المُتعَّلِقَةِ بالحَفلِ و البَيتِ.. أخبَرتهُ أنَّ لا شيءَ يَنقُصُها ، عَدا أمرٍ مُهمٍّ واحِدٍ و هوَ التاجْ .. فأبدا مُوافقَتهُ وأنهُ سَيُرافِقَها لإنتقائِهِ فِي اليومِ التالِي .. ، و لَمْ يَفِ .. لأنَّ الأوامِرَ الصادِرَةِ من القَلعَةِ لا تَحتمِلُ الإلغاءَ أو التَأجيلْ ..!

بَقيَّت لَيلَةٌ واحِدَةٌ لموعدِ الحَفلِ ، فُستانُها المُطَّرَز بِخُيوطِ الشَمسِ مُعلَّقٌ أمامَهَا ، باقَةُ أزهَارِ الفاوانيا البَيضاءِ النائِمَة تَنتظِرُ يَديَها لِتَتَفَّتَحَ.. حِذاءٌ بِكَعبٍ عالٍ يَصِلُ بِها النجومَ لِتَقطفهَا .. ، بَقِيَ التاجْ ! ، كانت مُنزَعِجَةً و أخذَتها دوامَةٌ من الأفكارِ لِسَّدِ فائِضٍ بالوَهمِ ، تخيَّلت أنهُ قَد يَتغيَّبُ يومَ الحَفلِ ، قَد يَنسَى موعِدهُمَا .. و هوَ الذي لا يَنسَى!.. وبدأت بالبُكاءِ كَطِفلَةٍ ضيَّعتْ لعُبَتها و تَخافُ إن إرتفعَ صَوتُ تَنهُدِها أن تُعنَّفْ ..

حَان موعِدُ الإقفالِ .. رتَّبت أزهارَهَا و تفقَّدَتْ صُندوقَ مَبيعاتِهَا ، توجَّهت للبابِ كَي تُعَّلِقَ عِبارَة :" المَتجَرُ مُقفَلْ " ، لتراهُ وراءَ الزُجاجِ ،

و يَطرُقَ بِإشارَتهِ المُعتادَةِ ، كانَت دمعَتُها أسرَعَ من أن تُغيِّرَ تعليقَةَ البابِ لـ :" أهلاً و سَهلاً " ، حَاوَلَ دَفعَ البابِ ناحِيَتها ، و حاوَلت رَدْعَهُ ، فَدَفعهُ بِقوَّةٍ لِتَقَعَ على الأرضْ !

هوَ " هكذا تَستقبِلينَني ..؟ "

هي "حانَ موعِدُ الإغلاقْ ! "

هوَ مادَّاً يَدَهُ نَحوهَا لِمُساعَدتها على النُهوضِ" إذَن أغلِقِي عليَّ معكِ .. "

نَهَضَت ، و هِي تتفادَى النَظرَ فِي وَجهِهِ .. فأبقَى يَدَهَا بيَدهِ ، و قالَ لها " فَلنذهَب لانتقاءِ تاجَكِ .." .

هِي " لقَد أَقفَلتْ المَتاجِر.. تأخرتَ جداً .. "

فشَّدها من يَدها .. "إذَن فلنُسرِع .. المتجَر على الزاويّةِ وَجَدتهُ مَفْتُوحَاً .. " .

***

إنها لَيلَتُها الأخيرَةُ بِمَتجَرِ الوَردِ ، بَدت وِسَادَتها مُفعمَّةً بالذِكرَيَاتِ ، فكانَ الأرقُ زَائِرَها الثَقيلَ .. استَعرضَتْ الكَثيرَ من الصُوَر، و أسهَبت يَقَظَتُهَا بِتَجميلِ الأمُنياتِ .. ، حَاوَلتْ أَن تُفَاوِضَ ، وتُغلِقَ عَينيهَا لِتَنعَمَ بالنَومِ ، لَم تَستطِع .. حتَّى سَاعَات الصَباحِ الأُولى حِينمَا شَدَّتْ الغِطاءَ لتُخَبِّأَ رأسَها تَحتهُ .

طَرقٌ مُزعِجٌ و أَصواتٌ كَثيرَةٌ فِي الخارِج .. فَتحت عَينَيها بِثِقَلٍ ، وتوجَّهت نحوَ بابَ المَتجرِ لتَفتَحَ لِصَديقاتِهَا ، ضَحِكنَ على شَكلِها المُبعثَر وتوجَهنَ للداخِل دونَ إذنٍ مِنها لِتَجِدَ نفسَها على البَابِ وَحدَهَا..

إحداهُنَّ " يا بَنات أنظُرنَ للتَاجِ مَا أجمَله .... إنهُ لمّاعٌ .. هَذا ألماسْ ؟"

الأُخرَى " هيّا لنبدأ بِتَجهيزَكِ .. أولاً علينا الإهتمامُ بِبَشْرتِكِ .."

كانَ الوَصفُ المَنطِقِيُّ لوجودِهُم أقربَ لفَوضَى جَميلةٍ و مُحَبَّبَةٍ ، ابتَهَجت بإهتمامِهِمْ ، و قاطَعتهُم .. " قَبل أيَّ شيءٍ .. مَن تُريدُ منكُم قَهوَّةً ؟"

"على خَطِ الكُحْلِ أن يكونَ حَاداً جَداً لِيُسقِطَ العريس قَتيلاً !"، هذا ما قالتهُ إحداهُنَّ ، ليرتَفِعَ صوتُ الضَحكِ بَينَهُم ، كانت الأجواءُ

حماسيَّةً و مُفعَمَةً بالبَهجَة لِتكونَ مُرتاحَةً بأن لا تُفكِّرَ بشيءْ ، أبدوا ذُهُولَهُم بِنتيجَةِ تَصفيفِ شَعْرِهَا بعدمَا وَضَعت التَاجَ .. ، و كانت اللمَسَاتُ الأخيرَة سَلِسَلةً جِداً لِتكونَ جاهِزَةً قَبلَ الموعِدْ ..

بِوصولِهِ طَرقَ البابَ برمزِهِ المُعتادِ ، لَمْ يأتِ أحدٌ لِيَفتَح لهُ ، أعادَ الطَرقَ بوَتيرَةٍ أعلَى ، كانت عِبارَةُ " أهلاً و سَهلاً " أمامَهُ مُزيَّنةً بالوَردِ ، فَفتحَ البابَ و دَخَل .. و تجمَّدَ برؤيَتهِ لِجمالَهَا ، كما تشّنجَت ابتسامَتُهُ .

كانت واقِفَةً مُقابِلهُ ، عَينَاهَا تُبدِي خَجلهَا بِغُنجٍ " ما رأيُكْ ..؟"

اقتربَ منها و لم يُزحزِح عَينيهِ عَنها " أجملُ من كُلُّ ورودِ الكَونْ.." .

أمسَكَ بِيَدَها ، و توجَّهَا مَعَاً بِمركبَةٍ كلاسيكيَّةٍ بَطيئَةٍ ، لِمَكَانِ الحَفلْ .

***

افتَرشَ زَهرُ اللوزِ أرضيَّة المكانِ ، و أغصانُهُ المُعلَّقةُ على المَدخَل أعطَت انطبَاعَاً مُريحَاً يُوحِي بالرَبيعِ .. قَفصٌ صَغيرٌ مُزَينٌ بالوَردِ بِلا عَصَافيرَ يستقبِلُ الحُضُورَ بِبطاقَاتٍ فَارِغَةٍ كَي يتركونَ بَصمَةَ مرورِهِم بِهَا، و ضُوْءٌ صَحراوِيٌّ مُتماوِجٌ بينَ وَهَجٍ و خِفَة ..

بِخُطواتٍ حَذرَةٍ من التعثُر بِعَتبَةٍ مُشاغِبَةٍ ، و إبتسامَةٍ شَبهَ واثِقَةٍ مِن جَمالِ وَجهِ صَاحِبَتها، و باقَّةٍ احتارَت بأيِّ يَدٍ تُمسِكُها .. ، بَينما خُطوَتُهُ واثِقَةٌ ، النيَاشِينُ تُزخرِفُ صَدرَهُ و تَتَباهَى ببريقِهَا .. و كانَ قَد نَسِيَ دَبوسَ الوَرد ..! ، أمسَكَ يَدهُ بِيَديهَا ، كَأنهُمَا العُصفورانِ المَفقودانِ مِن ذاكَ القَفَصِ ، تَرمِقُهمَا نَظراتُ الحُضورِ بِحُبٍّ و حَسَدٍ ! ، اجتازا المَمَّرَ الطَويلَ و دَخَلا للقاعَةِ ، و ارتَفعَ صَدى الأغنيَاتِ ، والأمنيَاتْ ..

***

للستائِرِ لونٌ مُختَلِفٌ عمَّا اعتَادتهُ ، انها لا تَشُفُّ عن نَهارْ .. للوِسادَةِ عُلوٌ مغايِرٌ لمعيَارِ أحلامِي .. ، للغِطاءِ لونٌ لا أحبّهُ .. أين زَخرفَةُ الوَردِ على غِطائِيْ ! هذا ما خَطَرَ على بالهَا أوَّل ما فَتحتْ عَيْنَيْهَا .. ، التَفَتت نَحوَ هُ ، كانَ غارِقاً بالنومِ كَطِفلٍ كَبيرٍ ، فانسَحبَت على أطرافِ أصابِعِهَا لِتخرُجَ نحوَ الحديقَةِ و تَرى زَهرَ اللوزِ يافِعاً يانعَاً فِي رَيعانِ صَحوهِ ، و تَسرَحْ ..

"صَباحُكِ خَير يا وَردَة " ، فِنجانانِ من قَهوَّةٍ أعدّاهُما معَاً فِي مَطبَخِهمَا الصَغيرِ ، بِحِرصٍّ على أن لا تفقِدَ القَهوَةُ رونَقَها ، لكنَّها فقدَتهُ إثرَ لَهَبٍ و عَدمِ تَركيزٍ ، أيُّ الفناجينِ نَختار ..؟! ، الأبيَضُ المذهَبُ أم الوردِيُّ المُطَّرزُ ! ، أنهُ فعلاً أمرٌ مُحيِّرٌ جداً ..

بينما كانَا يَحتسيانِ قَهوتَهُمَا على مَهلٍ فِي الحديقة، "ما رأيُكِ بالذهابِ فِي رِحلَة ..؟ "

هِي " رِحلَة !.. ألم تقلْ أن سِياسَةَ عَملِكَ فِي القلعَةِ تمنعُكَ .."

هوَ " أرغَبُ فعلاً بالذهَابِ للبَحرِ .. بِرِفقَتك " .

هِي " سيكونُ من الصَعبِ الترتيبُ لِرِحلَةٍ كَهذهِ الآنْ .. "

هوَ " ماذا سَيمنَعُنا .. اتركي التَرتيباتِ الصَعبَةَ لِيْ ، فقط جَهزِي حَقيبَتَكِ"

طَريقٌ صَحراويَّةٌ طَويلَةٌ و رَملٌ مُمتَدٌ إلى ما لا نهايَّةٍ و حَواجِزٌ من الزَّعترِ البرِيِّ ، جِبالٌ بُنيّةٌ تَستنِدُ على الغُيومِ الخَفيفَّةِ ، و مُوسيقَى هادِئَةٌ تتَخَللُ هَديرَ الحافِلَةِ الكَسولَةِ ، .. كانت تَركِنُ لزجاجِ الحافِلَةِ بِنَظرَةٍ بَعيدَةٍ ، هَارِبَةً من نَظرتهِ إليها و كأنهَّا اللونُ الوَحيد .. ، إلى أن وَصلا لِوجهَتهما الزَرقاءْ .

***

سُفنٌ تطفو بِرقَّةٍ كـ "المارشميلو" بِكوبِ قهوَّةٍ ، سماءٌ مُنعَكِسَةٌ على سَطحِ الماءِ بِدِقَةٍ ليسَ فيها انحرافٌ فِي اللونِ.. نَوارِسُ تطوفُ حَولَ الأشرِعَةِ و تَحُطُّ على كَتِفِّ البَحَّارِ ، أطفالٌ يَمْرَحُونَ حولَ سَلطعون مُلَّوَنٍ يَبدو حَزيناً ، و صَيَّادٌ منغَمِسٌ بفَكِّ عُقَّدِ شِباكِهِ .. صورَةٌ جَميلَةٌ بِتفاصيلِهَا ، تدعو للرَكْضِ على حَوافِ اللونِ بِقَدمينِ حَافيتينِ .

هوَ " أبقِي قُبَّعتُكِ على رأسَكِ .. أخافُ عليكِ من ضَربةِ شَمسٍ " .

هِي " ماذا عَنكَ .. لِمَ لا تضعُ قُبَّعةً؟ "

هوَ " لا تذهبِي بعيداً عن هُنا .. الأمواجُ سَتسحَبُكِ ! "

هِي " توقف عن التَوجيهِ من مَكانِكْ ! تعالَ و العَب معِيْ .."

هوَ " أَلَمْ تَكبرُي عَن اللعبِ .. "

هِي " .....لا أظَنْ ! "

هوَ " سألتَقِطُ لكِ الكَثيرَ من الصَّدفِ و بعدَها سَنعودُ للغُرفَةِ"

لَمْ تَكُفَّ عن الإشارَةِ لأماكِنِ الصَّدفِ ، لم يَنْتبِهَا أنهُما بَلغَا من المَوجِ مَوجَتينِ إلا حِينَ ضَربَتهُما إحداهُمَا على غَفلَةٍ لِتُبَلّلهُمَا ..

كانت أخَفَّ من أن تصمُدَ لتَقَعَ و تَبْدَأ بالضَحِك ، بينَما بقِيَ واقِفاً وعلى وَجهِهُ نظرَةِ غضَبٍ ..

حمَلت سَلتها المُمتلِئَةَ بأحجَارٍ مُلَّونةٍ و فَريدَةٍ و أصدَافٍ ، وجَلسَا على حَاجِزٍ حَجرِيٍّ يُجَفِّفَانِ نَفْسَيهُمَا تحتَ الشَمس .. لكنَّها لَمْ تُلَّبِي حاجَتهُمَا إليها ، و بدأت تَمْيلُ حَدَّ الغَرقِ و الإنطفاءِ فِي البَحرْ ..

قِلاعُ الرَملِ التي طَمرها الموجُ .. سَيأتي أطفالٌ أخرونَ لِيَبنوها ، والنوارِسُ التي غَفت بأجنحَةٍ مُبلَّلةٍ ، سَتصحو لِتسألَ البحرَ سَمكةً والبحّارَ وِجهَةً .. ، أما هُما فقَد انتَهت رِحلَتُهما بِحافِلَةٍ كانت تَتَجاوَزُ السَياراتِ الصَغيرةِ على عُجالَةٍ ، جَعلتهُ يعيدُ تَرتيبَ أفكارِهِ و إستعادَةِ زِمامِ الواقِعِ و أزماتهِ ، .. أمَا هِي فقَد أنهَكهَا الشَغبُ لتَستَنِدَ على كَتفهِ بِغفوَةٍ قَصيرة ..

***

إرتَدت ملابَسَ عَمَلِهَا ، و إرتَدى بذلته الرَسميّةَ .. تأكدَّ من أناقَةِ ربطَةِ شَعرهَا ، و تأكدَّت من عَدّدِ الأوسِمَةِ و لمعانِهَا .. ، أطَعمت قِطَّتهَا، أغلقَ النَوافِذ .. و انطَلقَا لِحياةٍ رُوتينيَّةٍ تَتماوَجُ بينِ حُضورٍ و غِيابْ.

" لَن أعودَ لفترَةٍ .. لديَّ مَهَمْةٌ مُستعجَلةٌ .. انتَبهي لنفسِكِ وأغلقِي البابَ جيداً ؛ سأشتاقُ لكِ " .

" سَأغيبُ لِفَترةٍ .. أمرٌ لا يحتمِلُ التأجيلَ ، اهتمِي بالحَديقَةِ لأجلِيْ..أحُبكِ" ،

" يومينِ فقَط ، أمرٌّ سِريٌّ فِي القَلعَة .. لن اتأخَرْ ، أعدُكْ !"، " سأجلِبُ لكِ بطاطا حُلوة حِينَ أعودْ .. لا أستطيعُ ألا أُحِبُكِ .." .

هكذا توالَت الأيامُ ، تَصحو باكِراً لِتعتَنيَ بالحَديقَةِ ، مِن فَرطِ وَحْدَتَهَا باتَت تُكلِّمُ القِطَةَ ، كادَت تَنسَى الكَلام و تَسْتَعيضُ عَنهُ بالمُواءِ ! ، عملٌ فِي المَتجَرِ طَوالَ النهارِ ، و المَسَاءَاتُ خاليَّةٌ من الصَوتِ ، و الضُوءْ .. ، كانَت تجلِسُ وَحدَها لسَاعَاتٍ طَويلَةٍ ، تبدأُ القراءَةَ بِكتَابٍ .. و كُلّمَا دخَلتْ الأحداثُ مرحلَّة الحماسَةِ .. تَرميهْ ! ، أصبَحت تنخَرِطُ بِدوامَةِ الأمنياتِ أكثَر فأكثَر ، لتدخُلَّها بِيَقَظَةٍ ، و تخرُجَ منها بِواقِعٍ .. و يَقينْ .

" حاوِل أن تعودَ بِسُرعَةٍ ، سأُعَّدُ لكَ طَبقَك المُفضَّل .. " .

" لا تغِب أكثَر من أُسبوعٍ .. لن أفتَحَ لكَ بابَ البيتِ ! " .

" دَعكَ من عَمَلٍ لا يُؤدِي لبيتِكَ .. لا يُؤدِي إليْ ! " .. ،

" سَوفَ لَن أعتنيَ بعصَافيرِكَ .. سَأطيرُّهَا إن لمْ تعُد بموعِدِكْ ! " .

بَدت شَكواهَا المُبطَنةُ تتخِذُ طابَعَ الأمرِ بتغييرِ مَسَارِ الأُمورِ ، لكنّهُ مشغولٌ عنها بأولوياتٍ مُغلَقٌ على عَناوينِهَا فيهِ بِمَفاتيحَ .. نسَبها برمُوزٍ تُؤدِي لقَبوٍ مُكبَّلٍ فيهَا الكَلامُ المُبَاحُ! ، كانَ يَترُكُ أوراقَهُ الماليَّةَ فِي حَقيبَتهِ .. يَرميها دونَ تَرتيبٍ فِي دُرجِ مَكتبهِ ، لَمْ يُلقِ بالاً لَو وَصلَ إحداهَا ليَدٍ .. و إن حصَل ، لَن يَكونَ هُناكَ مَن يَقدِرُ على نَسجِ حَرَكَتهِ بِخَريطَةٍ أو تتبُّعِ مَكَائِدهِ بِلُغمٍ ، لأنهُ أكبَرُ من الشُّبُهَاتِ ، لأنَّهُ .. بحَجمِ بُرجْ .

***

أوراقُ الأشجارِ تميلُ لتدُرجاتٍ بين بُنيٍّ و أصفَر، يَمُرُّ نَسيمٌ تلوَ الأخرِ ليغتالَ الأوراقَ الهشَّةَ .. تَتَساقَطُ على مَرأى عَينيَها ، كَما يتساقَطُ عنهَا الكَلامُ ، يَبدو أن الخَريفَ يطالُ القلوبَ كَمَا الشَجَر ، هَذا ما شعَرت،بهِ و هي تُمَسِّدُ بكَّفهَا غفوَ قِطَّتِهَا ، لَمْ تُلقِي بالاً بالبرودَةِ التي دبَّت بأطرافِهَا ، كانتْ شَارِدَةَ الذِهنِ ، ليرتَعِدَ قَلبُهَا و يخفِقَ بذُعرٍ من مُجَّرِدِ عُصفورٍ حَطَّ فَجأةٍ على غُصنٍ يابِسٍ .. اعتَقدتَهُ غُراباً من لَونهِ الأسودِ ، وتذَكرت أنهُ سنونو صَغيرٌ ، فهذا ما أخبرها بِه ذاتَ ربيعٍ اعتادَ هذا الصَغيرُ ذو المِنقَار البُرتقالِي أن يَزورَ أَسَلاكِ الغَسيلِ ليعبَثَ وَ يَسرِقَ ثِمارَ الكَرز الحَمراءْ ..

رنَّ الجَرسُ ، أسرَعت لتفتَحَ البابَ .. و حينَ وصَلتهُ توقَّفتْ ! لِمَ قَد يَطْرُقُ باباً معهُ مِفتاحَهُ ؟ ، فَسألت " مَن هُنا .. " ، كانَ صديقاً لَهُ يحمِلُ برقيَّةً مُستعجَلةً لَها .. أخذتهَا و فَتَحتَها لِتقرَأ..

" حَبيبتي الآن و الى الأبد ..

انا حبيبُك .. حصل لي حادِثُ كبيرٌ ، لكني بخيرٍ الآن ، انها عَمليةٌ مَعَقَّدَةٌ .. اردتُ ان أكون البطلَ وَحدِي ، لكني وَقعت !

سَأغيبُ لفترةٍ قد تكون طويلةً جِداً ان لم تُساعديني .. لهذا كُوني بخيرٍ و انتظريني ..

حَبيبتي الآن و الى الأبد .. "

قرأت الرِسالة مئَةَ مَرَّةٍ ، و كُل قراءَةٍ يُخَيَّلُ لها حادِثاً مُختَلفاً .. هَل تُراهُ سَقطَ فِي بِئرْ ؟ رُبما كُسِرت أسنانُهُ ! هَل رأسهُ بِخَيرْ .. رُبما التَعقيدُ طالَ قَلْبَهُ ! هَل يعني جَيبهُ .. بالتأكيد لا يُمكن خِياطَتُهَا .. سَتبقَى مثقوبَةً ! ، .. وضَعت يَديهَا على رأسِهَا و بدأت الجُدرانُ بِها تَدورْ !

***

.. بظَهرٍ مُنْحٍ ، و عَينينِ ذابلتينْ ، توجَهَت لمتجَرِ الوَردِ ، لا هِمَّة فيها لِحَملِ الأشتالِ و لا أعصَابْ .. ، لتأخُذَ استراحَةً تلوَ أُخرَى .. تَقضيهَا بالشُرودْ .

فِي هذهِ الأثناءِ ، دَخلَ زبونٌ يرتَدي سُترَةً مَطريّةً ، لِتَحيدَ بِنَظرهَا للخارِج و تنتَبِهَ بِوُصُولِ الشِتاءِ قَبلَ الزُبونْ ، فَيقطَعَ عليها المِشهَد بِسؤالهِ " أريدُ ورداً تليقُ بوداعْ " ، .. لتُنجَزَ لهُ طَلبهُ بِيَدينِ ترتجِفانْ .

برقيّةٌ أُخرى ، تمنَّت لَو تَجِدُ بِها إجاباتٍ عن الأولى ، لتَرى فيها أسئِلَةً أكثَرْ .

" اشتَقتُ لكِ الأن و إلى الأبدْ ..

أنا حَبيبُكِ ، لَن يطولَ مكوثِي أكثَر من شِتاءٍ ، القضبانُ بارِدَةٌ و انا حَزين جداً بدونك .. أتمنى لو أتذوقُ السَمَكَ من يديكِ مع أنني لا أحبّهُ ! .

أريدُكِ أن تُسانِديني فليس لي غيرُك ، و لتعلمي أنَّ ما حصلَ لأجلِك .. سَأخبركِ حينما أَعُود ، المُهمُ أن تكوني بخيرٍ و تَهتمي بِنفسَكِ ..

اشتَقتُ لكِ الأن و إلى الأبدْ .. "

لم تقرأ الرِسالةَ أكثَر من مَرَّةٍ ، تَركَتها على الطاوِلَةِ ، و بِثِقَلٍ و شُحُوبٍ كانت تُعِدُّ طَلبياتِ الوَردِ المُستعجَلةِ ، دونَ أن تنتبِه لتَدرُجاتِ الألوانِ و لا لجماليَّةِ التَنسيقِ أو زاويَّةِ المِقَصْ .. فَتجرَح إصبَعهَا و تَسيلَ قَطَرَات دَمهَا الأرجوانيَّةِ على الرِسالةِ التي تَجَعَّدَتْ من تأثيرِ الخَوفْ..

***

نَمَت الأعشابُ الضارَةُ فِي حَديقَةِ المَنزِلِ و بدأت تَتسَلقُ جُدرَانَ قَلبِهَا ، هِي لم تَفتَح النوافِذَ منذُ فَترةٍ طَويلَةٍ لكنَّ البردَ اتخذَ من أطرافِهَا مَسكَناً، كانَ المَطرُ يَنهمِرُ بِغزارَةٍ ذاتَ لَيلَةٍ ، صَوتُ العَاصِفَة كانَ أقوَى من رَغبَتها بالنومِ .. لِتَتخِذَ الزاويَّةَ ملاذاً آمناً من سَقفٍ قَد يَنهارْ .. قِطَّتها التِي لَمْ تَكُفَّ عن المُواءِ ، جلسَتْ فِي قَفصَها الصَدرِيَّ و ائتَمنتَ غفوَتهَا إليها لتنامَ بِدفءْ .. ، كانَت ليلَةً عَصيبَةً بالأفكَارِ ، البرقُ ضَربَ أعصابَها و الرَّعدُ أيقظَ مَخَاوِفَها ..

خُلاصَةُ الموقِفْ لَمْ تَبْنِ فِي رأسَها فِعلاً ، مُجرَّدَةٌ من الرَّدِ كانَت .. فكيفَ رَدُ الفعل ! ، حَاوَلت أن تُرَّتِبَ حيثياتِ الحَدثِ الذي غَصَّتْ من بعدهِ فلَمْ تَستطِع حَدِيثاً .. لذا لَجَأتْ لأوراقِها كَي تكتُبَ رِسالَةً ، لَم تَرُق لَهَا كَلِمَاتُ الرِثاءَ ، فمَّزَقت الوَرقَةَ .. حَاوَلت بِقَصيدَّةٍ ، وَجدَتها مُفعَمَةً بِلَحنٍ لَمْ تَستطِع غِنَاءَهُ ..

وَصلَهُ اللحنُ بِطَريقَةٍ ما .. أثارَ فِي نَفسَهِ الحَنينَ ، لكنَهُ لَمْ يَلمِس موضِعَ النَّدَمَ فيهِ ، لذا كانَ يُمَرِّرُ أيامَهُ البارِدَةِ على أملٍ بالخُروجِ من حُفرَةٍ يَدَّعِي أنها حُفِرَت لَه ! مع أنهُ كَان الذِي خَبَّأَ المعوَل و طَمرَ الدَلائِلَ .. ، كان يَتشِحُ بالضَبابِ و يَغزِلُ منهُ سِتاراً يُلَّبِي غُمُوضَهُ، تَعْلُو جَبينَهُ عُقدَةُ غَضَبٍ مُبطَنةٍ بِوَعيدٍ .. أما يَديهِ فقَد كَانتا مَذهولَتينِ من قُدرَتِهُمَا على الشَهادَةِ بإمضَاءٍ و بَصمَةٍ ..

خَيطَ الحَريرِ الذِي أرادَ تغليفَ قَلبها بِه ، تَدَاعَى .. كان يَقينَهُ حاضِراً بقدرتَهِ على تَجديدَهِ و هوَ السَاحِرُ أبداً ، لذا لم يفكِّر كثيراً بالموقِفِ الذي عليهِ بِناءَهُ و زَخرفَتهُ بالتَقُدِّمَ لهَا بأسَفٍ يؤدِي لِقَبُولَهَا، مَشغولاً بالقَرارِ الذي أَرادَ أن يَتَبنَاهُ و يَقِفَ عليه.

***

بَيعُ مَتجَرِ الوَردِ ، كان الحَلَّ الذي كلَّفها رَهن دَمها لغَدٍ جَميلٍ واستِنزافِ دُموعِهَا المالِحَةِ .. ، فَلَيسَ من خَياراتٍ مُتاحَةٍ ، و مَا مِن نَقدْ ! ، تكفَّلتْ باستعادَةِ إبتسامَتها وَحدَهَا ، وتدَرَّبت جَيداً على أن تقبَضَ بيدَها على تَوَتُّرِهَا ، و لجَأت لِخُدعَةٍ تُخرِجهَا من شِباكِهِ بِعَّضِ شِفَّتها وَ بقَضمِ أطرافِ أصابِعَهَا ، لتصبِحَ عادَةً..

نفضَ غُبارَ الصَمتِ عَن كَتفيهِ و تَبَاهَى أمامَ المرأةِ بِمنكبيهِ العَريضَينْ ، استعادَ بَريقَ نابَهِ الأصفَرْ، اختارَ زَهَرتين جَميلَتينِ من الزَنبق الأبيَض و توجَّه بِرقصَةِ الحُرِّ الذي لا يقيَّدهُ عُذرْ .. استأنَفَ المشهَد بِأغنيَّةٍ و استعراضٍ عَفويٍّ .. " سأستعيدُ كُلَّ شيءٍ .. أعِدُكْ ، الآن ابتَهِجي .. فأنا أتيتُ لأجلِكْ ".

كَلِمَةُ " لأجلِكِ " بقِيَّت ترِّنُ فِي مَسمَعهَا لساعَاتٍ ، لِتَجعَلهَا مُغيَّبَةً مِنَ السَعادَةِ و غَارِقَةً بِواقِعِ ما آلت إليهِ أُمورَهَا بِسَببِ حَمَاقاتِهِ .. ، شَعرت أنهُ امتَّصَ منها الحَياة بِملءِ إرادَةٍ منها دونَ أن يَطلُبَ منهَا الموتْ !

مُفعَمٌ بالحَركَةِ ، لا يُشبِهُ مَن خَرجَ من مَعرَكَةٍ .. و كأنَّ الجَبهَةَ لا تعنيهِ ، و إنما يَليقُ بِه شعورُ الانتصارِ وَحسبْ .. ، مُنْطَفأةٌ لا بَريقَ فِي

عَينيَها ، تَدنو من الصَمتِ بِشَغفٍ و تهرُبُ من الصَّحْوِ بِأمرِ تَعبٍ لا عَتبْ .

***

أيامٌ قَليلَةٌ و عادَت حَياتَهُ لوَتيرَتهَا ، فالبُرجُ لهُ مَواعيدٌ و حَزمْ ، وحركَتُهُ فِي الأرجاءِ ليسَ لها أثرٌ غيرَ الشَّك ، و استمراريَّةٌ فِي قراءَةِ بنودِ الوُعُودْ .. ، يَعُودُ للبَيتِ ليتوَّسدَ نومُهُ قُربَ صَحْوِهَا ، أو يَسهَرَ أبعدَ من منامِهَا .. ، يقفِزُ بمفاجأتهِ المُعتادَة التي يُخَبِئُهَا فِي جَيبهِ علّهُ يرَى ابتسامَتهَا القَديمة ، هو يعلمُ بأن الفُستُقَ ما عادَ يستفِزُّ ضِحكَتَهَا .. ، لجأ للكَستناءِ ، لكنَّها لم تُبدِي لعُنصِرِ المفاجأةِ الكبيرَةِ أثَرْ .

" ما الأمرُ معكِ ! أحاول جاهِداً أن أبهِجكِ .."

هي " لِمَ قَد أبتهِجْ ..؟ "

هوَ " لماذا ؟ لأنني هُنا معكِ .. ، أخبرتك ألا تُفَكِرِي بالمتجَر ، أمْهِليني قَليلاً سَأشتَري لكِ جَنَّةً .."

هِي " جَنَّة !! .. ما قيمَةُ الشيك الذي سَتمضيهِ كَي تشتريهَا .. لأجلِيْ؟"

تعجَّبَ من كلماتَها و غَضِبَ ليَرميَ كَستناءَ جُيوبِهِ فِي وَجهِهَا ، وقالَ بِصَوتٍ عَالٍ .. " أنتِ مِثْلُهُمْ جَمْيعَاً .. لا تُصَّدقيني !؟ " .

هِي بصَوتٍ أعلَى منهِ وَبِتَحدٍ " كيفَ أصدِّقُ ما أجهَلُهُ عنكَ .. جنَّتُكَ مجرَّدُ خُدعَةٍ مربوطَةٍ بأمَدْ .."

هوَ " اغربي عَن وَجهيَ الآن و إلا أريتُكِ الجَحيمَ ذاته ! "

خَرجَ للحديقَةِ و بدأ يصُبُّ غضبَهُ بالجُهدِ ؛ قَلَّمَ الأشجارَو اقتلعَ الحشائِشَ الضارَةَ و قلّبَ التُربَةِ ..و حَضَّرَ لجَلسَةٍ تَليقُ بِصَلحٍ ، بينما اختبأت تحتَ الغِطاءِ لِتَبكِيَ بتنهيدَةٍ خافِتَةٍ .. بَعدَما أغلَقتْ البَابَ عليها لِتَنعَمَ بوِحْدَةٍ لا يَحُدُّها منهُ حُضورْ ..

ارتفعَ مواءُ القِطة لاستشعارِهَا حُزنِ صَاحِبَةِ الوَردِ ، بَقِيَتْ تدورُ حولَ البابِ تسألُهَا الدُخول .. لكنَّها كانت منغَمِسَةً بِقَوقَعةٍ لا ترغَبُ بأن يَكسِرَهَا أيُّ سُرُوْرٍ .. ، مُشاجَرةٌ بينَهُ و بينِ القِطَّةِ التي قَرأت الحالَة فصبَّت جُنونَهَا عليهِ ! ، لتخرُجَ و تَرَاهُ فِي مَوقِفٍ هُجومِيٍّ عليها ، فتَسرِقهَا من بينِ يَديهِ بِصُراخِهَا " ابتعد عن قِطَّتِي !"، و تعودَ لغرفَتها وَ تُقْفِلَ على نفسِها ، تَحمِلُ قِطَّهَا و تَبكِيْ !

هوَ " هكذا اذَن .. القِطَّةُ أهمُ مِنِّي ؟ "

لَمْ تَرُدَّ عليهِ بَل زادَت بالبُكاءِ بِصَوتٍ مُرتَفِعٍ ، ليقولَ لهَا " إن لَمْ تَخرجي خِلالَ دَقائِقَ بِوَجهٍ غيرِ مُتَجَهِمٍ وعُيُونٍ منتَفِخَةٍ لنَسهَرَ فِي الحَديقَةِ .. لنْ تَرَيْنَ القِطَّة لأنني سَأَرمِي بِها خَارِجَاً ! " ، و يُكَرِر " صِدقاً سَأرمي القطَّة ودِّعِيهَا جَيداً! " .

لَمْ تخرُج ، و كانت هذهِ المَرة الوَحيدةالتي يَصِلُ الأمرُ بَينَهُمَا لهذا الحدِّ ، قَرَأَهُ تَحَدِيَّاً لَهُ و كانَ قَرَارَهُ بالقِطَّةِ حَاسِمَاً ، قَضَى الليلَ يفكِّرُ بحاجَتهِ لِحَلٍّ يُعيدُها لِسابِقَ عَهدِهَا و ابتسامَتِهَا ، و لَجَأَ لا إرادياً إلى الوُعْودِ .

***

"صَباحُكِ وردٌ يأ أميرَة الوَردِ .. يا وَردَتِي ، لا حاجةَ لِتُخَبْئِي قِطَتِكِ مني ، لَنْ أخُذَ منكِ ما تُحبينَ .. " ، كَلماتُهُ المَعْسُولَةُ كَفيلةٌ بنقلِها من رَصيفٍ لآخر ، وكانَ لِفُنجانِ القَهوَةِ الذي أعدَّهُ بِفنجانِهَا المُفضَّل مَفعولُهُ السِحرِيُّ لتعودَ ابتسامَتُهَا و لو قَليلاً و إن لم تَشِّفَ عن أسنانِها.. ، فتكلما بهدوءٍ تَخلَلها بعضُ الصمتِ أحياناً ، توصَلا لِبُنُودٍ نَمُوذِجيَّةٍ ، بينِ ضَرورةِ اهتمامهِ بها و بالبيتِ و تأكيدِ حُضُورِهِ بجدولَةِ عَملٍ واضِحَةٍ ، أولويَّةُ الإجتهادِ لاستعادَةِ المَحلْ و البَدءِ من جديدٍ بِوردٍ و حُلمْ .. بِأمنيَّةٍ تتوجُ حُبَّهُمَا بِبِنتٍ وَ وَلدٍ ، بِمقابِل أن لا تَبكِي ، وكانت باعتقادِهِمَا مُعادَلَةٌ عادِلَةٌ.. و أُغْلِقَ على المُحاكَمةِ بتوثيقِها بِسَلامٍ بين خِنْصِرَينْ .

على السَطرِ أوقَد لخُطواتَهِ قناديلَ نورٍ ، و بالعَنَاوينِ عَلقَّتْ أُمنيَاتَهَا ، و بقِيَّ للهوامِشِ الشَّكْ ! على الصَفحاتِ رسمَ تَطبيقاً لِأَصغَرِ وُعُودِهِ ، و بِكتابِ العُمرِ خَبَّأْتِ الزَنبَقَ شاهِداً علَى الحِكايَةِ ، و كان للقارِئِ رأيَهُ فِي طَرحِ الثِقَةِ أو كَسبِ التَأييدْ.

" توقَفِي عن الحَرَكَة وإلا أخطأتُ فِي استخدام المقَصّ و أصبَح شَعْرُكِ قَصيراً "

" لا تُرَّتِبي أدراجِي .. أحِبُها هكذا فوضويَّةً ، الآنَ أينَ دبوسِي الفِضِيُّ ؟"

" اترينَ ثَمرَة المِشمشِ على الغُصنِ العالي تِلك .. فلتُمسِكي الكُرسِيِّ جيداً لألتقطِها لَكِ .."

" أخبرتُكِ أن تَكُفِّي عن الرَكضِ وراءَ القِطَّةِ ! لِمَ لا تأتينَ بِطفلٍ تَركُضينَ وَرَاءَه ! "

" سَعيدَةٌ لأنَّكَ أحضَرتَ لِي تِلكَ الأشتال ، دَعنا نَتسابَقْ بِزَرعِهَا فِي الحَديقَة"

" مُمتَّنةٌ بِصدِقِكَ معِي مؤخراً ، سَيكونُ هذا المَبلَغُ الخُطوَةَ الأُولى لاستعادَةِ المتجَرْ " ..

" نعَم .. لاحظُتُ أيضاً أنني توَّقفتُ عن البُكاءْ ، لَنْ أبكِيَ أبَداً مَا دُمتَ هُنا"

" فَلتَتَعَلمْ كيفَ تَقُصَّ القَصَصِ .. لتَضمَنَ مُستَقبَلكَ كأبْ ! "

هكذا انقَضت النهاراتُ ، مُناوَشاتٌ و ضِحِكٌ ، حتَّى القِطَّةُ وَجدت لأمانَها مَلْجَأً بينَ يَديه ، تغيَّرَ لونُ قَلْبَيهِمَا ، هِيَ لَمْ تَنْسَى و لم يَلتئِم جُرحُهَا بَعدْ لكِنهَا تُكابِرُ لتُشفَى .. كأنها وَردَةٌ تأبَى أن تموتَ دونَ أن تتسَّلقَ لأعلَى سَهمِ شَمسٍ مُمكِنْ ، .. أعطَتهُ الأَمانَ لِمُحاوَلَةٍ

صادِقَةٍ، و كُلَّمَا وَجدتهُ على الحالةِ بلونٍ أخضَرٍ.. انفَرجَ ضوءٌ لِيُبَدِّدَ مخاوِفِهَا .

***

عادَ من عَملهِ بموعِدهِ ، أحضَرَ لها تُفاحَاً أخضَرَ، و لَم يَنْسَ القِطَّة من المُكَافآتِ ، كانت قَد حَضَّرتْ مائِدَةً صَغيرة بِسَمكٍ طازَجٍ وهوَ الذي لا يُحِبُّ السَمك مِن غيرِ يَديها ! ، قَضيا وَقتاً طَيباً فِي الحَديقة بِرَيِّ الأشجارِ و الأزهَارِ ، و بَدا عليهِ شرودٌ واضِحٌ وكأنهُ يَتهرَّبُ من النَظرِ إليهَا .. ، فَسَألتهُ " هَلْ هُناكَ ما يُشغَلُكَ ..؟" .

" لديَّ خَبرٌ لَيسَ بِجَيدٍ ، لهذا أنا مَشغولُ البَالْ .. "

توجَهت نَحوَهُ و جَلَستْ بِجانِبِهِ " ما الأمر هذهِ المَرَّةَ ، أنتَ لم تتورَّط بمشكلَةٍ جديدَةٍ ، صَحيحْ ؟ " .

نَظرَ فِي وَجهِهَا ، و إلى عَينيَّها بالتَحديدِ " لقَد وَعَدْتُكِ ..،لكِن يتوَجَبُ عليَّ أن أَغِيبَ لفترةٍ لأمرٍّ مُهِمٍ فِي البُرجِ ، و لا أريدُ الإبتعادِ عنكِ .. "

انشَرحَ قَلبُهَا و أفصَحتْ عن مَكنونِهِ بِتَنهيدَةٍ و رَّدَت " لا بأسَ ، سَوفَ انتَظِرُكَ".

هوَ " كُنتُ وَعدتُكِ ألا أغيبَ ، و أريدُ أن أكونَ عندَ وَعدِي لَكِ.. لكِنْ ، .. "

سادَ الصَمتُ بَينَهُمَا لِدَقيقَةٍ ، بَدا أمامَهَا حَزيناً ، لِيتَّجَسَّدَ فيها شُعورٌ غَريبٌ بالمسؤوليَّةِ و تَتَقَّدَمَ لتُمسِكَ بِزمامَ الحَديثِ ، " لحينِ تُرَّتِبَ جدوَلَ عملِكَ سأنتظِرُكَ ، كما و أنكَ قَد التَزمتَ بوَعدِكَ لِفَتَرةٍ ، فلنَعتَبِرهَا وَقتاً مُستقطَعاً ".

هوَ " وماذا عَن وِحْدَتَكِ .. سَوفُ أبقَى قَلِقاً .. لَو بَكيتِ !"

ابتَسمَت و رَبَّتَتْ على كَتفهِ بِحُنُوٍ " لنْ تَقلَقَ .. لأنني سَأكونُ بِخَير ما دُمتَ ستكونُ بِخَيرْ .."

بِخِفَّةٍ بدأت بِتَوضيبِ حَاجياتهِ فِي حَقيبَتهِ ، لَمْ تَنْسَ الحَلوى التي يُحبُّهَا ، أرادَت أن تضَعها فِي أحَدِ جيوبِ بِذْلتهِ ، لِتَراها مَحشوَّةً بأوراقٍ ماليَّةٍ ! تخثَّرَ الدَمُ فِي عُرُوقِهَا .. و تجمَّدتْ فِي مكانَها دونَ حَركَةٍ، نادَى عليها من غُرفَةٍ مجاوِرَةٍ ، فَلمْ تُلْقِ لِندائِهِ بالاً ، كَررَّ بِنَبَرةٍ أعلَى و لَمْ تُجِبهُ لأنها كانت مُغيَّبَةٌ عَن اللونِ و الصَوتِ .. و الصَدى ، توجَّه إليها بِخَوفٍ ليراهَا بِوقفَةِ صَدمَةٍ و مَلامِحَ ذُهولٍ تُمسِكُ بأوراقِهِ و الحلوَى مُتَناثِرَةٌ حولَهَا على الأرضْ ، فصَرخَ بِها " لماذا تبحثينَ فِي أوراقِي .. يمكنني ترتيبُ حَقيبَتي وَحْدِي ..!" ، أخذَ منها الأوراقَ بعَصبيَّةٍ .. و بدأَ يَجمَعُ الحلوَى المُتناثِرَةحَولَهَا .. ، قالَت لهُ بصَوتٍ مَبْحُوحٍ مُقيَّدٍ بِغُصَّةٍ أقربُ للبُكاءْ " ما هذهِ الأوراقْ ؟ "

هوَ " إنها قَديمَة .. قَديمَةٌ جِداً ، .. إنها لا شيءْ .. لما لا تُصَّدقيني !"

هِي " لا أصَّدِقُكَ .. "

فَتحَ عينيهِ لِيُصبِحا جَاحِظَتينِ إثرَ صَاعِقَةٍ ضَربت مَسْمَعَهُ .. وَقفَ مُقابِلَهَا و أخبرَهَا أنهُ سيثبِتُ لها صِدقَه و حَالاً ، أخذَ يِفتَحُ بالأوراقِ المطويَّةِ و يُشيرُ باصبَعِهِ لتاريخِ السَنداتِ الماليَةِ .. واحِداً تِلوَ الآخَرْ ، حتَّى بَدَأت بالبُكاءِ ، غطَّت بيَديها عَينيهَا كأنهَا لا تُريد أن تَرى المَزيد من اثباتاتِهِ الصَحيحَة.

" أنتِ دائِمَةُ الظَّنِ بِي .. أخبَرتُكِ أنهُ لَن أتورَّطَ مُجدداً لكنكِ لا تُصَدِقيني !"

هِي " أنا أسِفَةٌ .. شَعرتُ بالخَوفِ فَقَطْ .."

هوَ " أنتِ مَريضَةٌ بالخَوْفِ و الشَّكْ .. لا أُحِبُّ هذا منكِ حتى أنتِ لا تصَّدقيني!"

***

صَباحٌ جَديدٌ يَطُلُّ عَليها ، يُعاوِدُ شُعُورُ الوَحْدَةِ بِزيارَتِهَا و يَحِّلُ عليها كَضَيفٍ ثَقيلٍ لأيامٍ طَويلَةٍ ، تلَّبَدَ إحسَاسُهُا بالشَغفِ و بدأت تميلُ لِحُزنٍ ، تُسْنِدُ رأسَها على الجِدارِ ، تَستدعِي أحلامَ اليَقَظَةِ .. وتَغْفُو!

تَنامَى بِها الوَصفُ بأنهَا صَاحِبَةُ شَّكٍ ، فكانَت ترفضُ أيَّ فِكرَةٍ تحمِلُ بينَ يديها أدلّةً شَفيفَّةً عَن الحِصَارِ الأخيرْ ، تَراءَى لها الضَبابُ على هَيئَةِ سِتارٍ يوَّدُ أن يحجُبَهَا عن الوصُولِ لِقَرارٍ قُربَ اليَقينِ .. و كانَتُ كُلَّما صعَّدَ الخوفُ احتمالاتِ نَعتِها بالسَببْ .. تَصرُخْ !

ذاتَ مَساءٍ حاوَلتْ ضَبطَ ايقاعِ العَجزِ فيها ، جَلَستْ أمَامَ المرآةِ و أخذت تُسَّرِحُ شَعرَهَا الذي تشابَكَ من بَعثَرةِ أفكارِهَا .. أرادَت التَكَلُّمَ وَصورَتُهَا ، فلمْ تَرَ نفسَها فِي الصُورَةِ .. فعادَت أدراجَ الصَمتِ ، و كَم تساقَطَ مِن ذَهب شَعرِهَا ، و كَمْ تَشابَكَتْ فِي رَأسَها الأفكارُ .. و بدأَ الدُّوْارْ.

الشَمسُ تتوَّسطُ السَماءَ ، العَصَافيرُ تَنظرُ إليها و تَضحَك ، فقد كانَت تقِفُ على رُؤوسِ أصابِعِهَا لتَصِلِ حِبال الغَسيلْ ، بينما العَصَافيرُ بأجنِحَتهَا الصَغيرةِ تتمايَلُ على الحِبالِ بِدَلالٍ .. بَدت مُجهَدَةً ، و قِطَّتُها نائِمَةٌ على العَتبَةِ .. كانَ قَد وَصَل و دَخلَ البيتَ بِمِفْتاحِهِ ، بَقِيَ لدقائِقَ يَنظُرُ إليها .. ثمَّ دَخلَ المَشهَدَ دُونَ أن يَطرُقَ بِرَمزِهِ المعهودِ .

" الحِبالُ عاليَّةٌ أمْ أنتِ الصَغيرة !"

إلتَفت وراءَهَا لتراهُ ، ابتَهَجَت " عُدتْ ؟"

هوَ " نعَم عُدتُ .. انا أقِفُ أمامَكِ فِعلاً ! "

أمسَكت بِسلَّةِ الغَسيل و اتجَهت نَحوَهُ " أنتَ مُبَكِرٌ .. انتَهت المَهَمَّة ؟"

التَفَتَ بِحَركَةٍ سَريعةٍ بَعيداً عنها و هوَ يقولْ " سأعودُ من حَيْثُ أتيتُ إذَن .. "

لِتَرمي بالسَّلةِ و تُمسِكَ بطَرفِ كُمِّه .. " لا .. تذهَبْ "

انتَهت أيامُ الصَيفِ ، و بدأت الأزهارُ بالإنكمَاشِ على ما تبقَّى من بَتلاتِهَا و الأشجارُ تَعرُضُ أوراقَهَا للبيعِ بِمَزادِ النَّسمَاتْ ، بينما الوردَةُ التي جَلبَهَا مَعهُ هديَّةً لها آخرَ مرَّةٍ ، لَم تَمُتْ .. فقد كانَت بلاستيكيَّةً جميلَةً مُتباهِيَّةً بِخُلُوْدِهَا .. هذهِ كانت فِكرَتُهَا لتغتَرَ بنفسِها بينَ الوردِ التي تَتَصِفُ بِقِصَرِ العُمْرِ .

***

تَفوحُ رائِحَةُ القِرفَةِ مِن المَطبَخ ، هِي مشغولَةٌ بِخَبز كَعكَةٍ طَيبة ، و هوَ يَكنُسُ الأوراقَ الجافَّة فِي الحديقَةِ .. ، أعدَّت كوبَيّنِ من الشَّاي، قَطَّعتْ قِطَعتينِ وَزَينَتهُما بالجَوزِ و خَرجَت نحوَهُ ، " سَيبرُدُ شايُّكَ .." .

جَلسَ بِجانِبها يَعلو مُحياهُ انشراح، التَقَطَ كوبَهُ و قالَ لَها "اشتَقتِ لمَتجَركِ ؟"

هِي "طَبعاً .. لكن لَن يَبقَّى إلا القَليلُ بَعد ، أصبَح لدينا نِصفُ المَبلَغِ الآنْ .. وَ سَأستعيدُه" .

هوَ " لديَّ خُطَّةٌ .. يُمكنُنِي استعادَة المَتجَر خِلالَ أسبوعٍ! ما رأيُكْ؟"

هِي " كيفَ ذَلِك ؟! .. أتمنَّى أنكَ لا تفكِرُ باستدانَةِ المَبلغِ لأنني سَأرفُضْ."

هوَ " لا لَنْ أَستَدينَ مالاً .. الموضوعُ صَفقَةٌ رابِحَةٌ بِكُلِّ تأكيدْ "

هِي " لا أريدُ صَفقاتٍ ، الأمرُ يحتمِلُ الربحَ و الخَسارةَ .."

هوَ " ثِقِي بِي .. سَوف نستعيدُ جنَّتَكِ الصَغيرَة ، و نَبني أخرى أكبَر.. أوتَعلمينْ .. سَوف تصبحينَ مَلِكَةِ هذهِ الجِنانْ .."

هِي " توقَف عَن رَسمِ أحلامِكَ بأقلامِ ألوانِ طِفلٍ صَغيرْ .. لا مُجازَفَةَ ! "

ضَربَ بكوبهِ على الطاوِلَةِ بِغَضَبٍ و صَرخْ " لِمَ تُعامِلينَني كَطِفلٍ صَغيرٍ الآنْ ! .. ألا تثقينَ بِي .. كُلُّ ما فعلتُهُ لكِ و لأجلِكِ.."

هِيَ " أريدُ ذلِك و لكِني أفضِّلُ أن أنتظِرَ أكثَرَ و أخطو بِثباتٍ على أن أُغَامِرْ"

هوَ " عُدنا إلى مَوضوعِ الشُكوكِ إذَنْ ..! "

هي " أبداً .. ، فقَط أمهِلني لأفكِّر "

هوَ " دَقيقَةٌ واحِدَةٌ تَكفي لِتَتخذِي القَرارَ " ، أخذَ شَهيقاً كَبيراً .. صبَّ مَزيداً من الشايِّ فِي كوبِهِ و عدَّلَ من جَلسَتِهِ ، أمسَكَ بِيَدِها و قال " أنا أريدُكِ أن تعودِي للمَتجرِ بأقربِ وَقت ، أشعرُ بألمٍ فِي قَلبي كُلمَا مرَّرتُ ناحيَّتَهُ وَ وجدتُ غَريباً يُديرُهُ ، وَردَتي .. ألستُ أسيرُ معكِ كما وَعدتُكِ .. ثِقِي بي هذهِ المرَّةِ فَقَطْ " ، سحبت يَدها من بينَ يَدهِ ، وتوجَّهت للداخِلِ كَي تُحضِرَ المَبلَغَ ، دونَ أن تزيدَ بِحَرفٍ .

فِي اليَومِ التالِي ، استعَّدَ للمغادَرةِ لعَقدِ تِلكَ الصَفقَةِ ، بَدتْ مُتوَّجِسَةً ، جميعُ كلماتِ طمأنتهِ لَم تُفَّعِلَ الأمَانَ فِي قَلبَها ، كانت أقربَ

لقُنبُلَّةٍ تَغلِي فِي صَميمَها .. ما إن وَصلَ للبابِ و حملَ حَقيبَتَهُ ، حتَّى انفَجَرت باكيَّةً " ما عُدتُ أريدُ استعادَة المَتجَرِ.. ، لا تذهَبْ لصَفقَةٍ أجهَلُها " .

هوَ " عُدنا مُجدداً للشَّك ..! "

هِي " نعمْ ، ... أنا كما تقولُ مريضَةٌ بالشَّكْ ، لِذا .. عِدني أنَّكَ لَن تتورَّطَ بأمرٍ جديدٍ .. عِدني أنَّكَ ستعودُ بِخَيرٍ .. ،المَتجَرِ.. لا أحتاجُهُ " .

مسَحَ على شَعرِهَا و جَلبَّها إليهِ " سَوفَ لَنْ أغيبَ طَويلاً .. بِكُلِّ ما تُريدينَ أعِدُكِ .. أُحبِك " .

***

مَرَّ يَومانِ على غِيابِهِ ، تُشْغِلُ نفسَها بالترتيبِ و التنظيفِ كَي لا تُساوِرُها نفسُهَا بحديثٍ لا تودُّ سماعَهُ .. فقَد اتخذَت موقِفاً بالتوقوفِ عن تلوينِ الواقِعِ بالرمادِيِّ ، لذا كانَت فَجْأَةً تقولُ لِنَفسِها كُلمَّا حدَّثَتها، أنه سَيكونُ بِخَير و أنَّ عليها أن تصَّدِقَهُ ..و أنهُ سَيعودُ كَمَا دائِمَاً .

بدأت القِطَّةُ تُصدِرُ مواءٍ مُخيفٍ .. تقلَّص الأكسُجينُ فِي الجَّو ، فأقنَعت نَفسَها أنها غَيمَّةٌ قَد تعبُرُ هذا المَساءِ ، و تَنقَشِعُ غداً .. أخذَت القِطَةَ لِتُهَدِئَ من رَوعِهَا و أغلَقت نوافِذَهَا كُلَّها .. كأنها ترفضُ دخولَ أيَّ أخبارٍ.

دُقَّ البابُ فَجْأَةً ، لَمْ تَشَأ أَن تُحِركَ سَاكِناً بغفو القِطَّةِ بينَ يديهَا ، تركت مَن على البابِ ليطرُقَ مَرَّة أخرَى .. تَجَاهَلَتْهُ ، و حينَ سَمعَتْ وَقْعَ أقدامِهِ يَبتَعِدُ تَنهَدَتْ ... وَضَعتْ القِطَّةَ جانِباً ، و توجَّهت للبابِ ، فَتَحَتهُ ، بَرقيَّةٌ على الأرضِ ، انحَنَت لِتَلَقِطهَا .. لتقرأ أمراً بإخلاءِ المَنزِلِ خلالَ أربعٍ و عشرينَ ساعَةً !

اتجَّهتْ للداخِلِ بِسُرعَةٍ بعدمَا رَمَت الوَرقةَ على الأَرضِ ، أقفَلتْ البابَ و كأنَّ هُناكَ من يُطارِدُهَا .. وَضَعت يَدها على قَلبِهَا لتَتفقَّدَ مكانَهُ، لأنَّ ما كانَ يَنبُضُ فِعلياً تلكَ اللحظَة كانت رُكبَتيهَا .. ، عَصَفَ فِي رأسِهَا ألفُ سؤالٍ فَلم تَلتفِت لإدراكِ واحدٍ منها ، أغلَقت أُذنيها لِتَحميَّ نفسَها من صُراخِ الخارِجِ! ، لكِن مَن فِي الخارِجِ ..؟! ، طَرقٌ

مُتواصِلٌ و أُناسٌ و صُداعْ .. فَتَحتِ البابَ بِجَبينٍ أزرَق لِتَرى رِجَالاً بِملابِسِ البُرجِ ، استأذنوهَا بالدُخول للبَحثِ عن شَخصٍ باسمٍ تَجهَلُهُ .. أفسَحتْ لهُمُ المَجَالَ دونَ أن تُدرِكَ ، استَندَتْ على الجِدار تَنظُرُ لهُم بتَعَجُبٍ .. ، استَجمعَت بعضَ حروفٍ و تَمتَمَت امامَ رئيسِهِمْ "أنهُ منزِلُ شَخصٍ أخر .."

ابتَسَمَ الضابِطُ بِمَكْرٍ و حرَّكَ رأسَهُ باتجاهينِ ليعني لا ، قالَ لها " إنهُ ذاتُ الشَخصِ .. أنتِ ضَحِيَّةٌ لشيكاتِهِ التي من دُونِ رَصيدْ ..، وهذا أمرٌ بإعتقالِهِ إن لَم يُسَلِّمُ نفسَهُ خِلالَ وَقتٍ قَصيرْ .."

عادَ رجالُ الضابِطِ بنَتيجَةِ البَحثِ بأنهُ لا يوجَدُ أحدٌ فِي البيتِ، خرجوا و تركوا البابَ خَلفَهُمُ مَفتوحاً..

نَظَرت للبابِ الذي تلاقَفتهُ الريحُ .. شَعرتْ أنَّ هُناكَ من يُنادِيهَا ، ليسَتْ تَسْطيعُ التركيز لتُمَّيزَ الصَوتَ .. و لا فِي عَينيهَا مَكَانٌ لِغَيرِ الدَمعِ .. فكيفَ تُرَاهُ .. مَن يَمُدُّ جَناحَهُ لِيرفَعها عن الأرضْ ..؟ ، خَرجَتْ ، لِتَرى نَفسَها على الرَصيفِ تسيرُ وَحدَهَا .. الجميعُ بغيرِ اتِجاهِهَا ، يَعُودونَ لبيوتِهِمُ و هِي تُغادِرُ ، الجَميعُ دَافِئونَ و هِي بَارِدَةٌ .. البَردُ يُريدُ أن يَغتالَهَا مِن تَحتِهَا ، و العُيونُ مِن خَلفِهَا .. الألغامُ من كُلِّ الجِهاتِ ، و قِفلُ قُنبلةِ ثِقَتها ..

خَارَتْ قِواهَا عندَ مُفتَرَقِ طُرُقٍ ، جَلَسَت على عَتَبَةٍ و تقلَّصَتْ لِتُشبِهُ قِطَّةً هارِبَّةً ، خَبَّأَتْ وَجهَهَا بِيَدَيها و بَدأت بالمُواءْ !

لقَد أيقَنَتْ أنهَا انتَهَت منذُ آخرِ وَعدٍ لَم يَجِدِ النُورَ و أنَّ صَوتَهُ الدافِئَ تَبَدَّدَ ، وَ لَمسَتهُ الخَشِنَةَ كانَت بِمثابَةِ قَيدٍ ، و أنَّ أحلامَهُ والنُجومَ العاليَّةَ التي بَالَغَ فِي قِطافِهَا لهَا .. لَمْ تَكُن إلا نَيزَكًا أصابَ واقِعَهَا بالدَّمارْ.

***

باسمِ العدالَةِ كانَ مُطَالبَاً وُجُودَهُ  فِي مُحاكَمَةٍ عادِلَةٍ ، لكنَّ حالَ صُدُوْرَ الحُكمِ أيُهْمُ سَيكونُ موضِعَ التَنفيذِ ! رُغمَ أن كُلّ أصابِعِ الإتهامِ تُشيرُ إليهِ ، إلا أنهُ لا اسمَ واحِدٍ يوثَّقَهُ جِهَةَ قرارٍ .

عادَ مُتَخَفِياً ، يَلتَفِحُ شالاً مُزخرَفاً بالوَردِ .. بِخُطاهُ الواثِقَةِ طَمَعَاً بِحُنْوٍ من وَردَتِهِ ، رَغبَةً منهُ بِمَنَامٍ توَسِّدُ لهُ فيهِ أمنياتٍ جَميلَةً .. لِيَرَى القِطَّة على الرَصيفِ المُقابِلِ لِصَحوهِ .. فَيُدرِكُ أن فاجِعَةً حلَّت بِقَلبهِ و يَركُضُ نحوَ البَيتْ .. لَيسَتْ فِي أيِّ غُرفَةٍ .." اخرِجِي ، لَيسَ الوَقتُ المُناسِبَ لِلَعِبْ !" ، أخذَ يَصرخُ باسمِها كالمَجنونْ .. أيقَنَ أن اللُعبَّةَ أكبَرُ من رُقعَتِهِ ، توَّعدَ أن يكونَ الحَجرَ الأخيرَ .. بِهَرَبِها ، بانسحابِهَا.. تمنَّى لو يَجلِدُهَا بالشَوكِ ، و تَناسَى أنهُ .. الهارِبُ أبداً !

وُرُودُ الحَديقَةِ تشابَكَتْ حولَها الأعشابُ الضَارةُ ، تسَّلقَ الوَهنُ الأشجارَ لِتَبقَى تَئِنُ أمامَ كُلِّ نَسمَةٍ ، عَصافيرهُ ماتَتْ من العَطَشِ .. قِطَّتُهَا لجأت  لِجُحرٍ أَأمَنَ من جُنونَهِ .. و جُدرانُ البَيتِ زادَت فِي مَيَلانِهَا حَدَّ الإنهيارِ على رَأسَهِ كُلَّما همَّ بالنومِ هَرباً من مُسوغَاتِ جرائِمهِ .. كُلُّ هذهِ الصورَةُ فِي عَينيهِ ، و لَمْ  يَندَم .. بدا كأنهُ حَديدِيٌّ أبعدَ من وَصفِ إنسَانْ ، كأنَّ مشاعِرَهُ و كلماتِ غَزلَهِ كانَت مَحضَ دَرسٍ مَحفوظٍ  ، كانَ يُلقيهِ على مَسَامِعِ قَلبِها  بإتقانٍ ..وَعِنايَةٍ ، و منذُ

أن صَّبَ غَضبهِ لِفعلِها ، باتَت فِي قَانُونهِ آثِمَةً .. هوَ يُريدُ أن يُلقِيَ بالتُهمَةِ و حَسب ، لِيَرى صُورَتهُ على سَطحِ المَاءِ .. لامِعَة !

***

كانَ يعرِفُ مُسبَقاً أينَ يَجِدُهَا ، لكنَّهُ يوَّدُ أن يَستعيدَ زِمامَ أمانَهِ قَبلَ ذَلِكَ .. لذا لَمْ تكُن مُصادَفَةً كما يدَّعِي أنهُ ذَهبَ ليراهَا ، بَدت تُرَّتِبُ الأزهارَ على بابِ مَتجَرِ الوَردِ .. تَرتَدِي مريولَها ذاتَه .. و تُجيبُ صَاحِبَ العملِ بأنها حَاضِرَة ..

تَقدَّمَ نحوَهَا دُونَ سابِقِ تَرتيبٍ لِكلامَهِ ، وقَفَ أمامَها كَمَلِكٍ يوَدُّ استِعَادَة حَقِّهِ بالعَرشِ .. التَفَتت ، و نَظَرَت لهُ بِعَينينِ خاوِيَتينِ من الحُبِّ ، عادَ خُطوَّةً للخَلفِ و كأنَّهُ أصيبَ بِعيارٍ نارِيٍّ فِي صَميمَهِ .. تَلعثَمتْ كَلماتُهُ وَ حاوَلَ التِقاطِ بعضَ حُروفٍ فَلم تُسعِفَهُ ذاكِرَتُهُ باسمَهَا ، فقالَ " وردَتِيْ " .. عادَت لترتيبِ الأزهارِ مُتجاهِلَةً ما سَمِعَت منهُ و سَألَتهُ " هل تُريدُ بعضَ الأزهارِ ، فَلْتَدخُلِ المَتجَرَ ، .. أهلاً وسَهلاً " .

وَضَعَ يَدهُ على كَتِفَها بِغضَبٍ لِتُصبِحَ مُقابِلَهُ ، ابتَلعَ حروفَهُ الغاضِبَة و اكتَفى بالقَبضّةِ " لماذا تَركتني و هَربتِ ؟ " .. رَفعَتْ عَينَيها إلى عَينَيهِ بِزاوِيَّةٍ حادَةٍ و لَمْ تقُل شَيئاً ، يَكفِي أن عَينَيها فاضَتْ بِكَلامٍ مُخيفٍ وَحدهُ يَستَطيعُ تَرجَمَتَهُ .

أدركَ أنهُ أخطأ تَقديرَ الوَضعِ ، فَأخذَ يُلَّطِفُ ما يُمكِنُهُ تَصحيحَهُ " وَردَتي حَبيبَتي .. أنا أسِفٌ ، تعالِي لِنُعيدَ بِناءَ الجَنَّة.." .

هِي " إن كُنتَ تُريدُ صُلْحَاً كَما كُلِّ مَرَّة .. لِمَ لا أرى فِي يَديكَ هذهِ المرَّةِ وَردَةً ..!"

هوَ "سأجلِبُ لَكِ جنَّة .. و تُريدينِ فقَط وَردة ؟!"

هِي " وردَةٌ واحِدَةٌ ، و الآنْ " .

هوَ " سأكتُبُ لَكِ شيكاً بِرَصيدٍ يَشتري لَكِ مليُونَ وَردَةٍ .."

هِي " أفلَستْ إذَن .. رَصيدُ محبَّتَكِ صِفرْ ".

هوَ " وَردَتي .. ما قِيمَتَهُ ، و أنتِ مَلِكَةُ الوَردِ .. جِنيَّةُ الأزهارِ؟".

بِحَرَكَةٍ خَفيفَةٍ كَفراشَةٍ .. التَقَطَت قُبعَتَهُ ، و التي كَمْ كانت تُغضِبُهُ مِنهَا هَذهِ التَصرُفَاتُ الصِبيانيَّةُ ، لكنهُ أبدى إبتسامَةً فَريدَة من نوعِهَا أقرَبُ للإستِسلامِ من أمانِهَا ، لَم تَرتديها كما العادَة ! قَلَبَتْ القُبعَّةَ، و سألتهُ بِصَوتٍ وَاضِحٍ " أفرِغ جُيوبَكْ!".

فِعلُ الأمرِ الذي أبدَتهُ كانَ صارِماً جِدَاً ، لِيُلَّبِيَ دونَ تَرَدُدٍ ، فَيَضَع يديهِ فِي جيوبِهِ و يَحمِلُ الكَثيرَ من الفُستُقْ .. ، ضَربتْ بالقُبَعَةِ على قَلبَهِ.. ليُسرِعَ و يَضَع الفُستُقَ فِي القُبَعَةِ مُبدياً ابتسامَةً شارِدَةً ..أعادَهُ لِصوابَهِ رَميها للفُستُقِ على الأرضِ حَوْلَهُ لِيقِفَ بِحَذَرْ .

وَضَعت يَدهَا فِي جَيبِ مريولِهَا ، حمَلتْ حَفنَةً من البُذورِ ، عَلِقَ بعضُها بينَ أصابِعها ، جَعلتهُ داخِلَ القَبَعَةِ .. هوَ لَم يَفهَم أو رُبما لا يُريدُ أن يُصَدَّق أو رُبما صدَّق .. حينَ أعطَتهُ ظَهْرَهَا ، انشَغَلَ بِجمالَ الوَردِ الذي نَما بينِ خُصْلاتِ شَعرِهَا الطَويلِ .. تمنَّى لَو يَقُصُّهُ ! فما عادَ يُحبِهُ طَويلاً .. تمنَّى لَو يُلُّفُ شَعرَها حولَ عُنقِهِ .. قَد يَختَنِقُ بأَمرِ إعدَامْ!

تَرَكت قُبَّعَتُهُ التي زَرعَتْ بِها بُذورَهَا على الرَّفِ .. بعدَما مَسَحتْ عن عُيونِهَا دَمعَةً مالِحَة سَقَطَتْ .. و مُبتَعِدَةً عنهُ تَمتَمَت ؛ " الجَنَّةُ لا تُشتَرى ، المَحبَّةُ لا تُرتَهَنْ .. و الصَبرُ ، لا يوفَّي دَينَهُ رَصيدْ ...." .

***

النهايَة